جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآدب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة و الأدب العربي

دراسات أدبية
أدب عربي حديث ومعاصر

رقم: ح2018/11/19

إعداد الطالب:
عـبير ســـعادة

يوم: 24/06/2018

المكان ودلالاته في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" لمحمد مرتاض

لجنة المناقشة:

حسان زرمان	أ. مس أ	جامعة بسكرة	مناقش
عبد الكريم اروينة	أمس أ	جامعة بسكرة	رئيس
ربيعة بدري	أ. مس أ	جامعة بسكرة	مقرر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ولاَ خَوفَ عَلَيْهِم ولاَ هم يَحْزَنُونَ﴾

سورة البقرة:الآية **116**.

شـــكر وعـــــرفان

بادئ الأمر... أشكر الله العلي العظيم شكر الشاكرين، وأحمده حمد الحامدين على نعمته وفضله وتوفيقه على إتمام هذا العمل... وما توفيقي إلا بالله.

وبعد أتوجه بجزيل الشكر وفائق الاحترام والتقدير وأسمى معاني العرفان إلى أستاذتي الفاضلة "ربيعة بدري" على مساعدتها لي في إنجاز هذا العمل وعلى جميل صبرها وجهودها ونصائحها الصائبة، واسال الله أن يجزيها عني خيرًا، وأن يجعلها ذخرًا لأهل العلم والمعرفة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة محمد خيضر بسكرة.

كما أتقدم بشكري وامتناني إلى والديّ وزوجي على تشجيعهم لي ولما بذلوه من جهد في اتمام هذا العمل فكانوا لي خير معين.

وإلى كل من ساعدني من قريب وبعيد.

الإهـــــــداء

أتقدم بإهداء ثمرة هذا العمل المتواضع إلى: من ربياني صغيرة وإلى من أتمنى أن أنال رضاهما وأنا كبيرة "والدي الكريمين"

إلى قرة عيني أمي، ومن أنار لي دربي ومنايا في الحياة أبي

إلى زوجي وسندي وأبو أولادي "جعفر"

إلى أحباب روحي وَلَدَي: لويزة إيمان ومحمد فراس

إلى إخوتي وأخواتي رفقاء دربي في الحياة وأزواجهم وأولادهم.

إلى كل عائلتي، وعائلة زوجي الكريمة

إلى كل أساتذتي وصديقاتي رانية/ إلهام/ وداد/ مايسة/ مريم.

مقدمة

يحتل فن القصة في عصرنا الحاضر مكانة مرموقة بين سائر الفنون الأدبية النثرية، فهي قالب من قوالب التعبير يعتمد فيه الكاتب سرد أحداث معينة تجري بين شخصيات، فهي مجموعة من الأحداث التي تكون من نسج الخيال أو الواقع، قادرة على توصيل مجموعة من الأهداف والقيم بين الناس، وتشتمل القصة على تشكيل بنائي يتمثل في مجموعة من العناصر كالشخصية والحدث والزمن والمكان، هذا الأخير الذي لم يعد مجرد وعاء تتحرك فيه الشخصيات، بل أصبح ينظر إليه من طرف الباحثين والدارسين كجزء ضروري وحيوي يساهم في استكمال عناصر البُنية النصية للعمل القصصي، لا تقل أهميتة عن باقي العناصر السردية الأخرى، فالمكان يتفاعل مع الشخصيات داخل العمل ويساعد على تكوينها نفسيا وفكريًّا ووجدانيًّا، كما أنه يسهم في خلق المعنى داخل القصة، ولا يمكن نفي صلته الوثيقة مع الشخصية، إذ لا يمكن تصور شخصية بلا مكان.

وترى بعض الدراسات أن العمل الحكائي حين يفقد المكان فإنه يفقد خصوصيته التي تؤدي بدورها إلى فقدان أصالته.

ومنه جاء موضوع المذكرة موسوما بـ "المكان ودلالاته في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" لمحمد مرتاض"، ويرجع اختياري لهذا الموضوع للأسباب التالية:

رؤيتنا لعنصر المكان كأحد العناصر الضرورية والمهيمنة في البناء القصصي، سواء كان بناء ناقلا للواقع المعيش أو آتيا عبر الخيال الإبداعي، وميلنا نحو الدراسات النقدية

والأجناس السردية بعامة وبُنْيَة المكان بخاصة، وأيضا اهتمامنا الخاص بالكاتب الجزائري واعماله الابداعية المتميزة، واكتشاف عالمه السردي وما يميز كتاباته عن غيرها.

وقد طرح هذا البحث عدة إشكاليات منها: ما المقصود بالمكان الروائي؟ وما هي أنواعه؟ وفيما تكمن دلالات الأمكنة الواردة في المجموعة القصصية؟ وما أهم العلاقات السردية التي تربط العناصر الأخرى بالمكان؟.

وقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على خطة متكونة من مقدمة للبحث ومدخل وفصلين.

في المدخل حددنا مفهوم مصطلح المكان وأهميته في العمل القصصي، والفصل الأول درسنا فيه أنواع الأمكنة ودلالاتها في المجموعة القصصية، وقد قسمناها إلى نوعين تمثل الأول في المكان المفتوح فدرسنا فيه (المدينة والقرية والغابة والجبل والبحر والحقل والأرض والطبيعة والطريق) والنوع الثاني تمثل في المكان المغلق ودرسنا فيه (البيت والجامعة والسجن والمسجد والمقهى والملهى).

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه المكان وعلاقاته النصية مع العناصر الأخرى، وقد قسمناه إلى ثلاث علاقات تمثلت في علاقة المكان بالشخصية الحكائية من حيث علاقتي الانتماء والتنافر، وفي علاقة المكان بالزمن ،وفي علاقة المكان بالحدث، وأنهينا دراستنا بخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج.

واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج البنيوي، الذي ساعدنا في اكتشاف بنية المكان التي تَشكل منها النص ومختلف العلاقات التي تربط العناصر ببعضها البعض وبالتالي الوصول إلى المعاني خلف تلك العناصر، مع الاستعانة بالمنهج السيميائي الذي ساعدنا في استكناه دلالات المكان والوصول إلى المعاني التي خلفها.

وقد ساعدتنا جملة من المصادر والمراجع في انجاز بحثنا نذكر منها:

- جماليات المكان لغاستون باشلار
- بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي
- بنية الخطاب الروائي للشريف حبيلة
- بنية النص السردي من منظور النقد العربي لحميد لحمداني

ومن الصعوبات التي واجهتنا في سير هذا البحث كثرة المصطلحات الخاصة بهذا الموضوع.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بعميق شكري لأستاذتي المشرفة "ربيعة بدري" التي أفادتني بنصائحها وتوجيهاتها، وأرفع لها آيات التقدير والاحترام وجميل العرفان وإلى كل من ساعدني من أساتذة القسم الأفاضل في إنجاز البحث.

مـــدخل

مــاهية مصطلح المكانفي العمل الراوئي

1. مفهوم المكان

1-1 لغة

1-2اصطلاحا

1-2 -1 المفهوم الأدبي

1-2 -2 المفهوم الاجتماعي

2. إشكالية المصطلح

2-1بين المكان والفضاء

2-2بين المكان والحيز

3. أهمية المكان الروائـي

يعد عنصر المكان من العناصر الأساسية في العمل الروائي بحيث يساهم في تشكيل النص، ولهذا تناوله النقاد بالدراسة والتحليل ولتوضيحه أكثر لابد من الوقوف على تعريفه.

1. مفهوم المكان:

1.1. لغة: جاء في لسان العرب أن المكان هو «الموضع والجمع أمكنة وأماكن، توهموا الميم أصلا حتى قالوا: تمكن في المكان، وقيل الميم في المكان أصل كأنه من التمكن دون الكون، والمكانة المنزلة، يقال فلان مكين عند فلان بين المكانة، والمكانة ، الموضع»[1] فالمكان هنا يعني الموضع والمنزلة. والمكانة تدل على القيمة الإنسانية؛ أي منزلة الإنسان ومكانته عند إنسان آخر.

وجاء أيضا في معجم القاموس المحيط للفيروز أبادي أن المكان هو «الموضع، كالمكانة جمع أمكنة وأماكن، ومضيت مكانتي ومَكِيْنتَي أي: طِيَّتِي»[2] أي أن المكان هو الموضع وجمعه أمكنة وأماكن أي مواضع.

ونجد في الصحاح أن «المكان والمكانة: الموضع»[3]وفي قوله تعالى: «ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم»[4] أي «أهلكناهم(...) وغيرنا خلقهم(...)، وأقعدهم على أرجلهم، وجعلهم حجارة»[5] ونقصد بمكانتهم أي موضعهم.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج13، ط4، 2005، مادة (ك و ن)، ص 365.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 1999، مادة (ك و ن)، ص 267.

[3] الجوهري أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج6، ط1، 1956، مادة (ك م ن)، ص 2191.

[4]سورة يس، الآية 67.

5ابن الكثير،تفسير القرا ن الكريم،دار الامام مالك،الجزائر ،ج3،ط1 ،2006،ص832.

[5] ابن الكثير، تفسير القرآن الكريم، دار الإمام مالك، الجزائر، ج3، ط1، 2006،ص832.

وقوله سبحانه وتعالى: «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا»[1] أي «اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرق المسجد المقدس(...) وهو مكانا شافعا متنحيا»[2] بمعنى اتخذت مكانا نحو الشرق وهو المسجد المقدس، والمكان هنا يعني الموضع.

وفي محيط المحيط لبطرس البستاني: «المكان الموضع أو هو مفعل من الكون جمع أمكنة وأماكن. وأمكن قليلا، المكانة مصدر التودد والمنزلة عند الملك»[3]. فالمكان هو الموضع والمنزلة والمكانة.

من خلال هذه التعريفات اللغوية يتبين لنا أن للمكان مدلولات متقاربة تدور جلها حول أن المكان يعني الموضع والمنزلة، وأنه يحمل معنى وجود الإنسان ومكانته في الحياة ومنزلته.

2.1 اصطلاحا: لقد اختلفت الدراسات وتعددت حول مفهوم المكان، رغم دوره الفعال في تكوين حياة البشر وإثبات هويتهم، وهو المجال الذي تدور فيه أحداث القصص والروايات.

1.2.1 المفهوم الأدبي:

أ. عند الغرب: نجد عند الغرب «إن المقصود بالمكان في الرواية هو الفضاء التخييلي الذي يصنعه الروائي من كلمات ويضعه كإطار تجري فيه الأحداث.»[4] أي هو الفضاء الروائي الذي ينسجه الأديب بفعل خياله لتجري فيه الأحداث.

---

[1] سورة مريم، الآية 16.

[2] ابن الكثير، تفسير القرآن الكريم، ص 168/167.

[3] بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول اللغة العربية، ساحة رياض الصلح، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1998، مادة (م ك ن)، ص 859.

[4] آلان بروب جرييه، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1980، ص 101، نقلا عن ،عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ط)، 2010، ص 22.

كما يعرفه يوري لوتمان (Youri l'Otman) بقوله «هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل: الاتصال، المسافة... »[1] بمعنى أن المكان هو الأرضية التي تتناسب ووضعية الإنسان وطبيعة حياته التي تشتمل على أشياء متجانسة اعتاد عليها وتربطه بها علاقات مألوفة معه.

ويرى غاستونباشلار (Gaston Bachelard) في كتابه جماليات المكان «أن المكان هو الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية في جمال الصورة لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية.»[2] أي أن المكان الروائي عند باشلار ليس مكانا عاديا مثل الذي نعيش فيه فهو مكان خيالي غير واقعي يتشكل بلغة الروائي معبرا عن تصوراته بكل حرية بعيدا عن الحدود الهندسية، وهو يقر بأن للمكان بعدين أماكن أليفة وأخرى معادية.

ويعرفه هنري متران (Henri Mitterrand) «المكان هو مؤسس الحكي، لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة، أي عند نزولها من مخيلة الأديب إلى أرض الواقع»[3] بمعنى أنه قاعدة الحكي لأنه يماثل

---

[1] صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010، ص 40.

[2] غاستونباشلار. جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص 31.

[3] إبراهيم عباس، الرواية المغاربة (تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيدولوجي)، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005، ص 219.

الحقيقة المتصورة في ذهن الأديب عن طريق رسمها في نص روائي في زمن معين بواسطة شخصيات وأحداث تجري فيه.

ويعد المكان عند جيرالد برنس في كتابه المصطلح السردي هو «الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع والمواقف والذي تحدث فيه اللحظة السردية، هذا ولو أنه من الممكن أن يتم السرد بدون الإشارة إلى مكان القصة، ومكان اللحظة السردية أو العلاقة بينهم»[1]، فالمكان هو الموضع الذي تحدث فيه الوقائع والأحداث، وبدونه لا يمكن أن تتم الحكاية أو القصة أو أن تكون هناك علاقات مع العناصر الأخرى.

ب. **عند العرب:** إذا بحثنا عن مفهوم المكان عند العرب بوصفه عنصر من عناصر البناء الروائي نجد أنه لم يحض بدراسة كافية وتامة إلا مؤخرا فكانت «أولى بوادر الاهتمام به قد بدأت مع ترجمة الناقد الروائي العراقي غالب هلسا كتاب شعرية الفضاء (Poétique de l'espace) لغاستونباشلار، إذ نقله إلى العربية تحت عنوان جماليات المكان، تم تلته دراسات أخرى ضمن دراسات الرواية والقصة والشعر»[2] ومن بين أهم النقاد الذين قدموا دراسات حول هذا المصطلح نجد حسن بحراوي الذي أقر بأن المكان «ليس عنصرا زائدا في الرواية فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»[3] ذلك لأنه يمثل مكونا محوريا في بنية النص السردي.

---

[1] جيرالد برنس، المصطلح السردي (معظم المصلحات)، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 214.

[2] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2008، ص 176.

[3] حسن بحراوي، نبية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص 33.

أما ما ذهب إليه باديس فوغالي فهو أن «للمكان نكهة خاصة تولد في الأديب إحساسا متميزا يجعله ينتشي ويتصهد وجدانيا كلما لامس شعوره جانبا من ذلك المشهد المكاني الغائر في أعماق ذاكرته»[1] بمعنى أن المكان يعبر عن مقاصد الكاتب وعن تجربة عاشها في مكان ما، وبواسطة خياله ومشاعره وأحاسيسه تجاهه يتحول هذا المكان الحقيقي إلى فضاء نصي روائي متأثرا بالعناصر الأخرى.

يمكننا القول إن منزلة المكان في الرواية وعند الأديب نفسه تكمن في كونه البوتقة التي تضم كل الأحداث الماضية والحاضرة، وهو الوعي الذي يبرز تفاؤله مع الإنسان حيث يكمن هذا الوعي في الحالة الفكرية والوجدانية والنفسية والاجتماعية.

وكما جاء في تعريف آخر أن «المكان في العمل الأدبي ينبني على أساس من المتخيل المحض، لكنه لا يكتسب ملامحه وأهميته بل ديمومته إذا لم يتماثل بدرجة أو بأخرى مع عالم خارج النص، وذلك لاستحالة بناء الحدث أو الشخصية في مكان لا ملامح له، فضلا على أن المكان يوصل الإحساس بمغزى الحياة ويضاعف التأكيد على تواصلها وامتدادها»[2] فهو يؤكد أنه لا يمكن أبدا أن تجري أحداث وتتحرك شخصيات بدون مكان، وهو مكان خيالي ناتج عن مكان واقعي خارج النص الروائي بفضل أحاسيس الكاتب التي أراد إيصالها مع هذا المكان الذي عاش فيه تجربة ما.

وهذا ما دعا إليه أيضا باديس فوغالي في قوله: «إن المكان المجرد أو المعزول لا قيمة له في الأدب،إذ أنه لا ينهض ولا تتجلى قيمته إلا من خلال

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 01.

[2] وليد شاكر نعاس، المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2014، ص 248.

تجربة عاش الشاعر أو رآها فيه، وفي هذا المجال فإن الشاعر بما لديه من أحاسيس مرهفة يمكن أن يحفظ الأمكنة من النسيان، إذ أنه يضيف إليها حميميته وعلائقه الوجدانية، فتبقى معالمه حية تتجدد كلما تجدد في وجدانه الحنين إليها.»[1] وهذا يدل على أن الكاتب أو الشاعر الأدبي له علاقة تامة بالمكان ويستطيع بفعل كتاباته أن يحفظ الأمكنة بواسطة مشاعره وأحاسيسه ويحن إليها دائما، والمكان بذاته يمكن أن يشعرنا بوجوده، ومن المستحيل أن ننعزل عنه بفعل العلاقات التي تربطنا به من وقت طويل.

ونجد أن المكان هو «الذي تدور فيه الأحداث،أو المكان الذي يغري الشاعر فيتحول إلى موضوع تخيل وهو غالبا ما يحدد جغرافيا من طرف الكاتب، فإذا ذكر اسم المدينة مثلا أو المنطقة أو الركن فنحن ندرك تلقائيا الحدود الجغرافية لهذه الأماكن.»[2] أي أن المكان الذي تجري فيه الأحداث بواسطة الشخصيات مع تحديده جغرافيا، وهو ما لا يتوافق مع المكان الخيالي.

وفي موضع آخر نجد أن «المكان في الرواية يتلون بألوان عديدة ولا يتسم بالثبات في أغلب الأحوال فضلا عن هذا، فإن حضوره في النص الروائي يتراوح ما بين كونه يتصدر العمل الأدبي برمته ويكون العنصر السائد المهيمن على بقية مكونات السرد الحكائي في الرواية»[3]

فأصل النص الروائي وقاعدته هو المكان، لأنه العنصر الأساسي الذي يتحكم في سير المكونات السردية الأخرى، وهو مكان يتسم بالحركة والحيوية لأنه يتلون بألوان عديدة حسب موقعه ومناخه في الرواية.

2-1 -2 المفهوم الاجتماعي:

---

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 178.

[2] فتيحة كحلوش، بلاغة المكان (قراءة في مكانية النص الشعري)، مؤسسة دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 23.

[3] وليد شاكر نعاس، المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، ص 250- 251.

نجد أن جل الأدباء والنقاد قد اتفقوا على أن هناك علاقة وطيدة بين المجتمع والمكان وهي علاقة تلازم. وعلى هذا الأساس هناك من يقر «أن الأشكال الأدبية والثقافية مثل القصائد الغنائية والنشرات السياسية، وأنواع الروايات المتباينة تستمد بعض أسسها الجمالية من التغيرات التي تحدث في الجغرافيا أو في مشهدية المكان نتيجة تنازع اجتماعي»[1] هذا لأن البيئة الاجتماعية تولد في الأديب مشاعر يحسها من مشاهد مكانية واقعية تجعله يبدع في رسمها في قصائد ونشرات وروايات مختلفة تستمد جماليتها من هذه الأماكن المتغيرة المظاهر.

ونجد أيضا أن هناك من يرى أن «المكان اجتماعيا يعني البيئة الاجتماعية وتشمل اثر العادات والعرف والتقاليد ونوع العمل السائد في المجتمع»[2] لأن المكان هو المعبر عن بيئته والمعبر عن العادات والتقاليد لبيئة اجتماعية معينة تتمثل في مجموعة من الناس، فمثلا البيئة العربية تختلف تماما عن البيئة الفرنسية الأجنبية مما ينتج لنا عملا روائيا مغايرا عن المجتمعات الأخرى.

ورغم اختيار الكاتب «لأحداثه الروائية من واقع الحياة الاجتماعية لكنه يحدد زمن الحدث ومكانه تحديدا واضحا، كأن يذكر اسم المكان الذي تجري فيه الحكاية وكذلك الزمن الصريح، وإن المكان من الناحية الاجتماعية يتجلى في الآثار الأدبية حتى يمكن للناقد أو الباحث أن يقول: العمل الفلاني ينتمي إلى البلد الفلاني»[3] فبما أن الإنسان ابن بيئته؛ فإن المكان يتمثل في الواقع

[1] الأخضر بن سايح، سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن،(د.ط)، 2011، ص 08.

[2] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة (حكاية بحار–الدقل–المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2011، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

الاجتماعي بزمن معين وحدث يبرز في آثار الأديب في أعماله الأدبية وخبرته المجازية في تكوين مكان روائي تخييلي.

ويقول ياسين النصير: «للمكان عندي مفهوم واضح يتلخص بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه.»[1] فالمكان هو الذي يزود الإنسان والمجتمع بفضل العلاقات المتبادلة أفكارا وأخلاقا وثقافة تختلف من مكان لآخر، حيث نجد أنه «منذ القدم وحتى الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي القريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، مخاوفه وآماله وأسراره وكل ما يتصل به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل.»[2] فهو الوعاء الذي يحمل كل ما يتصل بالإنسان من ثقافة وفكر وآمال فينسجها لتصبح عادات وأعرافا لأجيال قادمة.

وهناك من عرف المكان الاجتماعي بقوله: «هو الذي نلتقي فيه بالآخر، لننصرف إلى ممارسة الجانب المدني منا بعقد العلاقات والصداقات وتدارس شؤون الجامعة ومشاركتها في أفراحها وأحزانها ومشاغلها.»[3] فهو المساحة التي تجمع الأفراد ببعضهم لممارسة شؤونهم الاجتماعية بمقتضى العلاقات والصداقات. وعلاقة المكان بالإنسان لا يمكن فصلها فهي أكيدة حتمية. إذ لا يمكن تصور إنسان بلا مكان، والإنسان جزء من المجتمع، والمكان يجمعهما الاثنان.

في حين نجد أن «المكان الروائي لا يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث فحسب، بل الإطار الذي يحتويها، والعنصر الفاعل في الشخصية الروائية،

---

[1] ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (د.ط)، (د.ت)، ص 70.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003، ص 16.

والذي قد يدفع بالشخصية إلى الفعل في علاقة جدلية بينه وبينها، فمن المعروف تأثير المكان في السكان وتأثير السكان في المكان»[1] فما يمكن استنباطه من هذا القول إن المكان هو المجال المتحكم في سير الأحداث من تحولات على مستوى الشخصيات من أفعال وتحركات، ما يجعله أيضا متأثر بالشخصية والعكس.

ويقول إبراهيم خليل : «لا ريب أن للمكان أثرا في التعبير عن هوية الكاتب الروائي والشخوص، فالحياة الإنسانية خلاصة الظروف والبيئة المحيطة والتاريخ والعادات والتقاليد والأعراف، ونتيجة ذلك نجد الكثير من الكتاب يحاولون من خلال المكان التعبير عن تمسكهم بهويتهم.»[2] أي أن المكان هو هوية الشخصية وبطاقة تعريفها وهو المعبر عنها وعن ظروفها وتاريخها، وبهذا يعد عنصرا حيويا في سير الرواية.

كما يعد الطابع الاجتماعي هو طبيعة المكان الموظف في الرواية العربية والمعبر عن الكاتب وسوسيولوجيته الثقافية التي ينبغي أن ترى الكاتب المكاني، أي دال على الإنسان قبل أن يكون دالا على جغرافيا معنية[3]. فالمكان الروائي هو ثقافة مكان الكاتب لأنه الدال عليه قبل أن يكون دالا على جغرافيا هندسية يعيش فيها، والملاحظ أن طبيعة المكان الروائي هي طبيعة اجتماعية بحتة لأن ينبوع أي مكان يبدأ من المجتمع وينتهي إليه.

ومن هذا تتجلى لنا طبيعة المكان الروائي ومظاهره التي تظهر علاقته بالإنسان ومدى تعلقه به، فهو مكان اجتماعي، ونجد أن هناك من النقاد من عد

[1] محمد عزام، فضاء النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1996، ص 114- 115.
[2] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 141.
[3] ينظر : صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، ص 40.

المكان هو الجغرافيا التي يعيش فيها الإنسان، وهناك من عده الوعي الإنساني المعبر عن أفكاره ونفسيته وعاداته والدال على مكانه.

كما نلاحظ أن المكان قد حضي أيضا باهتمام لدى الفلاسفة، فهذا أفلاطون يعرفه «بأنه ما يحوي الأشياء ويقبلها ويتشكل بها»[1] فهو المقام الذي يتشكل منه الإنسان ويحتويه ويقبله كمقيم فيه.

وهذا أرسطو يقول إنه«الحد اللامتحرك المباشر الحاوي، أو السطح الحاوي من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي»[2] أي أننا لا يمكن أن ننكر وجود المكان بأي حال من الأحوال فهو المحيط الذي نلامسه من كل جهة ونحن نشغله ونعيش فيه وندركه بتحركاتنا[3]، وهو يمثل الأبعاد الثلاث كما ذهب إليه الفيلسوف الرياضي إقليدس في قوله «فالمكان عندي ينبغي أن يكون ذا ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق.»[4] لأنه مكان حسي فقد ربطه بالأبعاد الهندسية.

ومن هذه التعريفات نلاحظ اتسامها بالحسية فهي صور مظاهر محسوسة تشير إلى مواقع هندسية.

وفي تعريف فلسفي آخر نجد «أنه إذا زاد الجسم أو نقص أو تحرك، فلابد أن يكون ذلك الجسم في شيء أكبر من الجسم ويحوي الجسم، ونحن نسمي ما يحوي الجسم مكانا.»[5] بهذا يعد المكان هو المجسم الذي يحوي الأجسام بحيث تستطيع أن تنسجم فيه بحرية.

---

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 171.

[2] المرجع نفسه، ص 172.

[3] يتظر، جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، إشراف صالح مفقودة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه أدب عربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2013/2012، ص 17.

[4] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص171.

[5] المرجع نفسه، ص172.

وبما أن للمكان مساحة بين ثنايا الكتب القديمة من فلسفة وأدب، فإن ذلك يدل على أهمية المكان وكيف كان له الأثر عندهم آنذاك، ذلك لأنه لا يمكن تصور إنسان بلا مكان، فهو تصور عقلي أولي يبرز علاقة الإنسان بالمكان المحيط به منذ القدم. لأن المكان بطبيعته ضارب في الجذور منذ الأزل ونشأته مع الإنسان الأول حين اتخذ من الجبال والكهوف والمغارات مأوى له، ولأنه «ليس للمكان زمن معين أو تصور معين يمكن لأي إنسان من خلاله أن يقدم العطاء نفسه.»[1] بل لكل إنسان مكان يعبر عنه بواسطة علاقته به، يختلف عن إنسان آخر في مكان آخر.

2. إشكالية مصطلح المكان:

تعددت مرادفات مصطلح المكان،والمصطلحات القريبة من مفهومه،والتبست به،مما أدى الى تداخلها، ومن بين هذه المصطلحات مصطلحا الفضاء والحيز.

2-1 بين المكان والفضاء:

لقد حاول العديد من الدارسين والنقاد التمييز بين المكان والفضاء لكن «لم نصادف ضمن الأبحاث التي اطلعنا عليها دراسة تميز بشكل دقيق بين الفضاء والمكان ويبدو أن هذا التمييز ضروري.»[2] وهذا يعني أن الدراسات التي تفصل بين المكان والفضاء قليلة.

فهناك من يقر أن «الفضاء في الرواية هو أوسع وأشمل من المكان إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة، وبطريقة

[1] باكير محمود باكير، المكان وحضوره عند الشاعر، مجلة المعرفة، سوريا، ع 556، 2010، ص 231.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص 62.

ضمنية مع كل حركةحكائية.»[1] أي أن المكان يمكن أن يكون عنصر من عناصر الفضاء أو جزء منه، وأن الفضاء أشمل وأوسع، بمعنى أن مجموع الأمكنة يساوي الفضاء.

في حين يرى آخرون «أن المكان هو مكون الفضاء ولما كان هذا المكان دوما متعدد الأوجه والأشكال، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، إنه الأفق الرحب الذي يجمع جميع الأحداث الروائية، فالمقهى والشارع والمنزل والساحة، كل واحد منها يعتبر مكانا محددا؛ إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها فإنها جميعا تشكل شيئا اسمه فضاء الرواية.»[2] وعلى هذا يعد المكان جزءا من الفضاء، فالفضاء يشتمل على أماكن متعددة ومتنوعة في الرواية ما يسمى بالفضاء الروائي.

وهناك من يقر «أن الفضاء في الرواية ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث.»[3] في حين ميز أحمد مرشد بين المصطلحين الروائيين فأطلق مصطلح «الفضاء الروائي على مجموع الأماكن الروائية التي تم بناؤها في النص الروائي؛ إن مجموع هذه الأماكن هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية ، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان.»[4] والمكان «بهذا المعنى هو مكون الفضاء، وبفضل سمة الاتساع هذه يشمل الفضاء الروائي العلاقات القائمة بين الأماكن التي اندرجت في رحابه، والعلاقات بين الحوادث التي تجري فيها.»[5]

---

[1] المرجع السابق، ص 64.

[2] إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، ص 218- 219.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 31.

[4] أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 130.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والبارز من هذه المقولات الاتفاق الواضح في أن الفضاء أوسع وأشمل من المكان، وأن المكان جزء من أجزاء الفضاء الروائي.

ونجد أن بعض الدراسات تتفق في إعطاء الفضاء تقسيما يتخذ أربعة أشكال وهي باختصار:

1.**الفضاء الجغرافي:** «وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيه.»[1] أي أنه المسرح الذي يتحرك عليه أبطال تحكمهم أحداث، ويتحدد هندسيا بأبعاد جغرافية.

2.**الفضاء النصي:**«وهو فضاء مكاني أيضا، غير أنه متعلق فقط بالمساحة التي تشغلها الكتابة (الصفحة أو الصفحات) الروائية أو الحكائية باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتابة.»[2] فهو المساحة الورقية الكتابية التي يتم عليها سرد أحداث واقعية أو خيالية من قصة ما عن طريق الروائي أو القاص، وهو فضاء بعيد عن الفضاء الأول.

3.**الفضاء الدلالي:**«يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي، وما ينشأ عنها عن بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.»[3] أي هو اللغة المجازية التي يخلقها الأديب عن هذا الفضاء المسرود.

4.**الفضاء كمنظور:**«ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الرواي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح».[4] لأنه وسيلة الكاتب الخاصة به في طريقة نسجه وتحكمه في الأحداث وتحرك الشخصية وسير الزمن.

---

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 62.

[2] إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، ص 216.

[3] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 62.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-2 بين المكان والحيز:

من الألفاظ المرادفة والمعلقة بلفظ المكان، في عده عنصرا أساسيا ومركزيا في بناء العمل الروائي، يحظي باهتمام دراسي المكان في الأدب نجد مصطلح الحيز، والذي حاز على دلالة «النتوء، والوزن والثقل والحجم والشكل.»[1] وهذا يبدو بعيدا عن المفهوم العام للحيز.

في حين نجد عبد المالك مرتاض يحاول التمييز بين المكان والحيز في قوله: «وإذا كان للمكان حدوده تحده، ونهاية ينتهي إليها، فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربه كتاب الرواية، فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل حيث يقتضي الحيز من بين مشكلات البناء الروائي كالزمان والشخصية واللغة.»[2] فالحيز هو تلك المساحة الواسعة بلا حدود التي يشغلها الروائي بأحداث ويستغلها بحرية وطلاقة.

ويقول في موضع آخر أن «الحيز الأدبي عالم دون حدود وبحر دون ساحل وليل دون صباح، ونهار دون مساء، إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات وفي كل الآفاق.»[3]

كما يؤكد في موقع آخر أن المكان «هو كل ما عنى حيزا جغرافيا حقيقيا من حيث نطلق الحيز على حد ذاته، على كل فضاء خرافي، أو أسطوري أو كل ما يند على المكان المحسوس، الخطوط والأبعاد والأحجام والأثقال، والأشياء المجسمة؛ مثل الأشجار والأنهار وما يعتور هذه المظاهر الحيزية من حركة أو

---

[1] شريفة خلفان اليحيائي، تجليات المكان في القصة العمانية (مقاربة موضوعاتية)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع86، 2004، ص 14.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998، ص 125.

[3] المرجع نفسه، ص 135.

تغير.»[1]إذن فالحيز يطلق على كل عمل روائي نصي، أما المكان فيستعمل للأشكال الجغرافية الهندسية المعبر عنها في هذا النص الروائي.

بهذا يعد عبد الملك مرتاض الحيز هو العنصر النواة في العمل الروائي، ويمكن ربطه بين العناصر الأخرى ربطا عضويا على حد قوله.

ومما سبق ذكره في إشكالية مصطلح المكان يتبين أن آراء بعض النقاد والباحثين حول مفهوم المكان والفضاء والحيز قد تباينت وتقاربت واختلفت قليلا لكنها تصب في نهر واحد مفاده أن الفضاء أوسع واشمل من المكان والحيز، وأن المكان هو بؤرة الفضاء ومركزه، وبجمع الأمكنة في العمل الروائي نتحصل على الفضاء السردي الروائي.

3. أهمية المكان:

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات فحسب، بل لأن المكان يتحول في بعض الأعمال الروائية إلى الفضاء الذي يحتوي على كل العناصر الروائية ولهذا أكد العديد من الباحثين على أهمية المكان الفني في العمل الروائي أمثال "هنري متران" الذي أكد على أهميته في قوله: «إن المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة»[2] فقد جعل الوعي وسيلة في صياغة شكل هذا المكان الروائي.

ثم إن أهمية المكان في بناء العمل الروائي لا تختلف عن أهمية الزمان أو الشخصيات لأنه:«لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج

[1] عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،(د.ط)، 1995، ص 245.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 65.

المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين »[1] وهذا ما يؤكد على أهمية المكان في العمل الروائي.

فالمكان في الرواية هو «البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي، وينهض به في كل عمل تخيلي»[2] أي هو الفضاء التخيلي الذي يصنعه الروائي من كلمات ويضعه كإطار تجري فيه أحداث.

ويمكن أن نقر أن أهمية المكان القصوى تكمن في كونه «العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق، وهو الدال على الإنسان قبل أن يكون دالا على الجغرافيا المحددة أو دالا على تقنية تبرز حدوث الوقائع والأحداث، المكان الروائي هو أساسا مكان الإنسان، مكان يحدد سلوكه، وعلائقه ويمنحه فرصة الحركة، ويمنعه من الانطلاق.»[3] هذا لأن المكان ليس بالرقعة الجغرافية فحسب، بل يتعداها إلى مدلول حياة الإنسان وعلاقاته الإنسانية بغيره، ومدى تعمقه ومعايشته للأمكنة التي تبرز وقائعه وأحداثه بواسطة انتمائه إلى مكان خاص به.

إذن فالمكان في العمل القصصي أو الروائي لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال، لأنه يمثل العمود الفقري الذي تتحرك بمقتضاه العناصر السردية جميعا.

وهذه المخططات تبين موقع المكان الروائي بين العناصر الروائية الأخرى:

---

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2010، ص 99.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

[3] أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص 128.

الشكل رقم (01): المكان كقاعدة

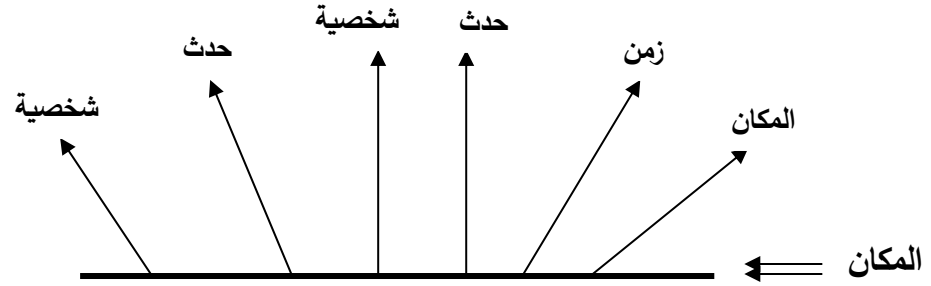

الشكل رقم (02): المكان كبؤرة ومركز

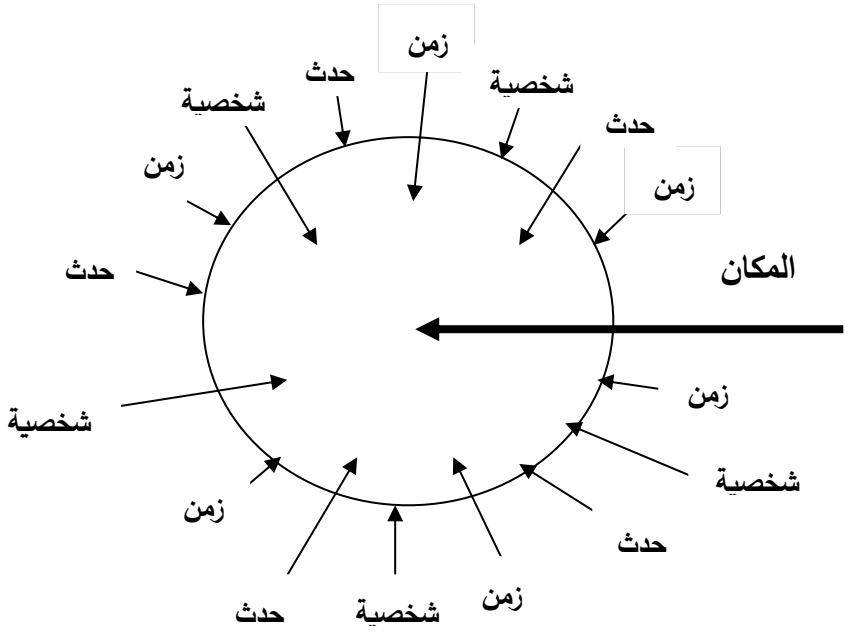

الشكل رقم (03): المكان كعمود فقري للعمل الروائي

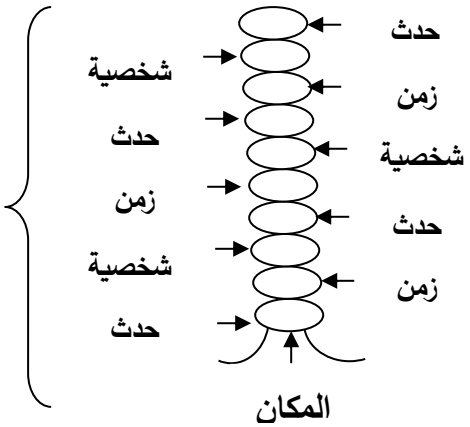

الفـــصل الأول

أنواع المكان و دلالاته في المجموعة القصصية

أولا- الأمـاكن المفـتــوحة:

1. المدينة
2. القرية(الواحة/البادية)
3. الغابة
4. الجبل
5. البحر
6. الحقل
7. الأرض
8. الطبيعة
9. الطريق

ثانيا- الأمـاكن المغـــلــقة:

1. البيت
2. الجامعة
3. السجن
4. المسجد
5. المقهى
6. الملهى

ساعدت ثنائية المكان المفتوح والمغلق في تشكيل هذه المجموعة القصصية، حيث تعددت الأمكنة فيها بين أماكن طبيعية واجتماعية ودينية.

أولا: الأماكن المفتوحة

وهي الأماكن اللامحدودة، تتصف بالانفتاح والاتساع والحرية، فهي فضاءات رحبة تحس الشخصية فيها بالراحة والطمأنينة، تزخر بالحياة والحركة، تُؤَمِنُ التواصل بين الناس، وكثيرا ما نجد هذه الأمكنة لوحات طبيعية، ويسميها حسن بحراوي بأماكن الانتقال في قوله: «أما أماكن الانتقال فتكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والأحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي»[1] فهي كل فضاء يمثل التنقل خارج أماكن الاقامة.

ومن بين الأماكن المفتوحة التي وردت في المجموعة القصصية:

1 المدينة: تتميز المدينة طبعا بالكثافة السكانية التي تفوق القرية، ويعيش فيها الناس من شتى الأصول وشتى العائلات، تتميز بطبائع اجتماعية كثيرة بفعل التطور والانفتاح على الحضارة، يضعف فيها التمسك بالعادات والتقاليد مقارنة بأهل القرية، والضجيج الكبير الذي يسودها طوال اليوم نتيجة ازدحام الطرقات والشوارع ووجود المصانع.

فالمدينة مكان نجد فيه الضروريات جميعا والمرافق الاجتماعية كافة من مراكز التسوق والجامعات والمستشفيات الكبرى وقاعات الأنترنت المنتشرة وغيرها.

وتعد المدينة «مجموعة من المسافات، لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية»[2] فهي تشمل الطابوهات الايديولوجية والاجتماعية والسيكولوجية جميعا.

---

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص40.

[2]– الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي(دراسات في روايات نجيب الكيلاني)،عالم الكتب الحديث،اربد،الاردن،ط1، 2010،ص257.

والمدينة «نظام متكامل ونسيج محكم من قيم الشر والانحطاط (...) وبؤرة لاستيلاب الانسان وتغريبه عن انسانيته ووعيه لذاته، وهي الواقع الفعلي المادي»[1] أي أنها رقعة لها خصائصها ومميزاتها التي تدفع الإنسان إلى تفكير فعلي مادي يجعله غريبا عن ذاته ووعيه.

وكما هو ملاحظ حضور المدينة بكثافة واسعة في الأعمال الروائية والقصصية الحديثة منها والمعاصرة، لما تقدمه من تجارب واقعية وجمالية فنية في النص الروائي.

ونجد أن المدينة قد حضرت في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" في عدة مواضع من قصص المجموعة ومن بينها نذكر قصة "العودة إلى الينابيع" التي ذكرت فيها والدة نجيب المدينة لزوجته في قولها «إنكم أصحاب المدينة مقترون جدًا، فأين هذا من انشراح صدورنا وبسطة عيشنا مثل واحات جنوبنا إذا ما طرق بابنا زوار أو ضيوف»[2] حيث كان هذا المقطع مقارنة بين أهل المدينة وأهل القرية أو الواحة دالاعلى البخل وعدم إكرام للضيوف واستقبالهم استقبالا يليق بالمقام، .

وتكرر ذكر المدينة أيضا في قصة "أغلى هدية" التي حاول فيها خالد أن يبين لزوجته مريم طبيعة الحياة وأسلوب العيش في المدينة في قوله: «إنك تعرفين أن المدينة لا ترحم... فهناك نبتاع كل شيء إلا الهواء (...) لا يعزب عنك أن النور تقابله النقود، والماء الشروب الذي نكرعه نحن عذبا زُلالاً من الآبار القريبة نؤدي حقه في المدن»[3]فالكاتب هنا يرصد الحال التي عليها المدينة؛ فهي حياة سهلة ومريحة لكنها مكلفة ومتطلبة للكثير من النفقات وهو يحاول مقارنتُها في الوقت نفسه بحياة القرية التي تبدو بسيطة بذوق عذب وهذا ما يدل على أن لكل مكان طريقة في العيش وأسلوب خاص يختلف عن الآخر.

---

[1]– عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، ص116.

[2]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (العودة إلى الينابيع)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2014، 09.

[3]– المصدر نفسه، (أغلى هدية)، ص164.

وفي وصف يقدم امتيازات الحياة في المدينة تقول مريم: «كيف لا أرنو إلى المدينة (...) المياه تدفق غزيرة من الحنفيات (...) الكهرباء يشار إليها بالأزرار البيضاء الناصعة، فتملأ الغرف بهجة وضياء»[1] وذلك لطبيعة الأدوات المستعملة والوسائل الحديثة التي توفر الراحة وتدل على العيش المريح في المدينة.

وقد ورد في المجموعة القصصية ذكر عديد من المدن الجزائرية والأجنبية، لكن لم يقم الراوي بوصفها، فقد استعان بها فقط للتمثيل في سير الأحداث كقول الراوي: «بل ترسل هذا المنظر إلى مختلف بلاد الله المنتجة... على المكسيك، أو كندا، أو أمريكا، أو روسيا»[2].

ووردالحديث عن مدينة فرنسا في قصة "التلاشي في المجهول" فوضح الراوي طريقة العمل فيها، حيث الاعتماد على التكنولوجيا وفي ذلك يقول حسن: «سمعت بأن الآلة وحدها هي التي تعمل في فرنسا، أما الإنسان فهو مشرف فقط، يغير اللوالب، أو يراقب البراغي وغيرها...»[3] وهذا ما يعني أن الأعمال الشاقة اندثرت في فرنسا وخلفتها الآلات الصناعية، حيث إن الإنسان يشرف على أبسط الأمور فقط وهذا ما يوحي بتقدم عالم اليوم وراحة العامل فيه وضمان حمايته.

ويقول الراوي أيضا مبررا صفات الأجواء في هذه المدينة من اكتظاظ سكانها وضجيج وسائلها: «لم يحفل حسن ببلاد فرنسا، كره جوها الخانق وأزيز مواصلاتها وازدحام شوارعها وضجيج سكانها، وصخب مقاصفها ليلا ونهارًا...»[4] فالمدينة في هذا المقطع ترتبط بدلالات الفوضى العارمة وأنها مكان يعجُ بالسكان والآلات الصناعية مما يوحي بالعمل دون توقف والحركة الدَائبة طوال اليوم.

---

[1]- المصدر السابق، ص165.

[2]- المصدر نفسه، (الذهب الضائع)، ص48.

[3]- المصدر نفسه، (التلاشي في المجهول)، ص136.

[4]- المصدر نفسه، ص137.

وهكذا تظهر لنا المدينة في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" غير واضحة المعالم الهندسية والمادية، فالكاتب لم يركز على وصفها وصفا ماديا، بقدر ما ركز على مشاعر شخصياتها ووظيفتها الحياتية في طريقة العيش والعمل.

2 القرية (الواحة / البادية):

وهي مجموعة من السكان يعيشون ضمن رقعة جغرافية معينة، ينتمون إلى بلد معين، يكون نمط حياتهم متناسبا وطموحاتهم وتطلعاتهم، وتتميز القرية ببساطة العلاقات الاجتماعية والتمسك بالعادات والتقاليد.

والقرية «ذلك الحيز المكاني الخصب الذي يؤثر في الإنسان وتنشده إلى الأرض وتتميز جغرافيا بامتداد حقولها وبياراتها، وبساطة أبنيتها التي تعكس حياة أصحابها»[1] فهي ذلك المكان الذي يشع ببساطة الحياة وامتداد الأراضي والحقول دلالة على الخصب والنماء.

وقد حضرت القرية بدورها أيضا في المجموعة القصصية بأوصافها المتنوعة ودلالاتها الكثيرة ومنها قول الراوي في قصة " زفاف في البادية" يصف بئرا من أبيارها: «هذه بئر«أربوز» التي عهد أمواهها عذبة نميرة تخطب ودّ الصداء، وتغري العِطاش بالشخوص إليها، وكيف لا ينجذب نحوها كل من مرَّ بها، وهي تضم إلى جانب عذوبة الماء الحسن والجمال»[2] فقد كانت هذه البئر من الثروات التي تنعم بها هذه القرية، فماؤها كان عذبا وجمالها وحسنها في قمة الأناقة، فقد أخذت لب كل من زارها أو مرَّ عليها فهي تعني تجدد الحياة والخير والخصب والنماء والعيش البسيط.

وفي قوله نجده يصف البدويات في لوحات متكاملة من عالم الجمال، فمثلا وهن يسقين الجرار من البئر: «تراهن يمسكن بأشطان تلتصق بها الدلاء فيلقينها أولا وهن لها محكمات، فإذا استيقن من امتلائها بعد حركة بديعة، انحنين شيئا ليجذبنها ويضعن ما فيها

---

[1]– حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر أحمد عبد المعطي أنموذجا، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2006، ص29.

[2]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (زفاف في البادية)، ص85.

داخل الجرار»[1] ومن خلال هذا المقطع لهذه البئر في القرية نستشف تلك الأوصاف التي أبدع الكاتب في وصفها من دلاء وجرار وصفوف البدويات وهن يسقين الماء مما يوحي ببساطة الحياة وجمال المنظر وما يزخر به هذا المكان من دلالات الخير والهناء والماء الوفير الذي يعم على كل سكان القرية.

وبدقة الوصف هذه ينتقل بنا الكاتب إلى جانب آخر من هذه اللوحة «حيث كانت جموع أخرى من الفتيات قد جلست على صفائح بجانبها أكوام من الثياب تغسلها ثم تنشرها على النباتات طويلة السوق وعلى العيدان الصلبة لتجف قبل جمعها والأوبة بها إلى البيوت نظيفة»[2]بساطة العيش التي حاول الكاتب من خلال إحساسه أن يبرزها في هذا المقطع تجسدت في هذه الأوصاف مثالا من حياة القرية التي تشع بالبراءة والعفوية بين سكانها في هذا المكان الدال على المحبة والتآزر والأمل.

ونجد الحديث عن هذا المكان أيضا في قصة " أغلى هدية" حيث تقول مريم: «نحن ننظر إلى هذه القرية الزّريّة في ماضيها بأنها (عش الغراب) أو أنها (قرية الصبار) أو أنها (أرض الخروب الجاف)»[3] فقد كانت هذه القرية قديما في هذه القصة تشبه عش الغراب الذي يعني الخراب والتشاؤم، وتشبه قرية الصبار في تمثيلها بالصحراءالقاحلة التي لاتنبت عشبًا، وهي كأرض الخروب بجفافها وتَصَحُرها، وهي كلها أوصاف دالة على المكان المهجور المخرب الذي لا أمل في احيائه وإخراجه من عزلته.

وفي مقطع سردي آخر من قصة "زفاف في البادية" يوضح لنا الكاتب زاوية أخرى من زوايا العيش في القرية يقول المكي: «إن العيش في البادية ليس سهلا ولا ميسورا، فأنا أقضي نهاري مثل النحلة العاملة لا أكاد أتوقف عن العمل، أجلب الحشائش للدواب وللأبقار الحلوب، وأسقي الماء للعائلة، وأساعد والدتي في حلب الشياه عند المساء، بل وأمخض

[1]– المصدر السابق، ص85.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المصدر نفسه، (أغلى هدية)، ص163.

اللبن أحيانًا، وأحضن الدجاج أو أنثر لها الحبوب»[1] وذلك لطبيعة الحياة القاسية والصعبة التي تمتاز بها القرية أو البادية عن أي مكان آخر والتي تزخر بدلالات العمل الدؤوب طول النهار والقوة والجلد والصبر والاستمرار.

ويتكرر ذكر القرية في المقطع الآتي يقول محمد: «هلموا إلى القرية، فالهواء عليل، والنسيم بليل، والدنيا تعيش في بهرجة من الزينة والجمال»[2] فقد حفرت الطبيعة في قلب الكاتب ووجدانه آيات من الحب والجمال في القرية فراح يصفها بأرقى معاني الهناء والصفاء، حيث لا يوجد التلوث والضوضاء فقد «كانت الطبيعة صورة الحرية والانفالات من القيود والحواجز التي تقف بوجه الإنسان، فقد غرست في نفسه تحابا وتعاطفا عظيمين، ولعل ذلك يعود إلى عدم وجود كثافة سكانية فيها، فكل من في القرية يعرف أنحاءها وساكنيها فردا فردا، من هنا تنشأ الألفة والمودة إلى جانب التقارب المادي لأهل القرية»[3] فالقرية بقالبها الطبيعي تحمل أسمى معاني الجمال والحرية والتعاطف والمودة.

ونجد أن الكاتب لم يُورد وصفا دقيقا للقرية كالوصف المعماري الجغرافي، بقدر ما وصفها وربطها بحالة العيش وأسلوب الحياة فيها، فهذا المكان قد تعددت فيه الدلالات في هذه المجموعة القصصية وتباينت بين الدلالة على الحياة والحيوية والجمال والخصب والنماء والمحبة والعمل والصبر وبين الدلالةعلى الخراب والعُزلة والهجر والحرمان.

3 الغابة: هي مكان يُعد ضمن الأماكن المفتوحة لانفتاحه على العالم الخارجي الطبيعي، يزخر بفضاء مختلف التضاريس من جبال وسهول ومنخفضات، تتمتع الغابة

[1]– المصدر السابق، (زفاف في البادية)، ص90.

[2]– المصدر نفسه، ص86.

[3]– حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ص30.

بجمال خلاب بفضل الأشجار والأعشاب المختلفة والتي تجعلها ذات بساط أخضر يلمع بألوان الزهور يأسر العقل ويجذبه بمجرد النظر إليه.

وهي تمثل في المجموعة القصصية " العودة إلى الينابيع" في قصة "المفاجأة" المكان الذي ضم مجموعة من الأحداث الثورية ومنها ما قاله الراوي حين استعدت فرقة للهجوم: «أخذت كتيبة المجاهدين تتغلغل بحذر في قلب الغابة التي تبدو فيها كثافة الأشجار في التدرج الأفقي، كل ما خطا المرء خطوات إلى الأمام، فشكل كل أولئك خطا هندسيا فوسيفيسيا مُوشى بالأوراق الخضراء، وببعض الفواكه الفصلية أو البرية، انبعث معها روائح مختلفة الشموم فاختلطت مع قطرات الندى»[1] وهذا يعني أن هذه الغابة كانت قمة في الجمال بكثافة أشجارها وأوراقها الخضراء الدالة على فصل جميل، وفواكهها وروائحها المختلفة، وهي من جانب آخر وسيلة ساعدت كتيبة المجاهدين في الاختباء والتخفي عن أعين المستعمر وليكملوا طريقهم في عملهم الثوري، فكما هو معلوم أن الغابات قد ساعدت كثيرا في سرية الثورة، فقد كانت مأوى الذخيرة من أسلحة وطعام للمجاهدين، فهي توحي بالسرية والخفاء.

لينتقل بنا الكاتب في وصف آخر للغابة فيقول الراوي: «أشعة الشمس الأولى تشكل حلقات متناثرة في الغاب»[2] وهذا يعني أن هذا المنظر كان خلابا يوحي بالجمال والبهاء.

ليواصل الكاتب وصف هذه اللوحة الغابية في قول أحد المجاهدين: «كان الشروق يزحف في سرعة ليكشف كل شيء، وكان خرير الماء الذي يشق التوت يناغينا ثم اختفى هذا الخرير وكل الأصوات الهامسة الأخرى»[3] وهذا ما يوحي بأن مكان الغابة هو من أولى الأماكن التي تستقبل الشروق في أبهى حلة ونلاحظ أن هذه الغابة تزخر بأشجار التوت

[1]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (المفاجأة)، ص41.

[2]– المصدر نفسه، ص42.

[3]– المصدر السابق، ص43.

والمياه الغزيرة التي توقفت فجأة بفعل الحركات التي كانت داخل الغابة دلالة على اقتراب جنود المستعمر.

وقد استطاع الكاتب في مقطع آخر أن يرصد لنا أدق تفاصيل هذا المكان في قول أحد المجاهدين: «حفيف الوراق، وهفهفة الأفنان، وسقسقة الحشرات المختلفة التي تعم المكان وتوشك أن تغطيه، وكان نهيق الحمر وخوار البقر يتناهى إلينا من أماكن قاصية، فكان صداها كأنما تردده أعماق أودية سحيقة، وتتأوب معه جبال الجهة الشواهق!»[1] بمعنى أن هذه الغابة من الغابات المكتظة بجمال الحيوانات والأشجار والأودية والجبال والدالة على الحياة في هذه القصة من مكان للاستجمام إلى مكان ثوري وهذا ما رصده أحد المجاهدين في قوله: «كانت أصوات الأسلحة هي التي هيمنت على الغابة، تقهقروا إلى أسفل، تدحرجوا على ظهورهم، ألقى بعضهم بنفسه من الروابي كأنه رياضي غطاس»[2] فقد ساعدت الغابة بفضل صفاتها المذكورة في نجاح هذه العملية الثورية وغيرها، فكانت مثالا للمساندة في الوصول إلى الانتصار والاستقلال.

ونلحظ في قصة "غابة الضباع" أن الغابة قد أخذت معنى آخر، حيث ولجتها بنتان من بنات الليل، فأصبحت شبيهة بالمغارة المخيفة التي تملؤها الوحوش، ويتجلى ذلك في قول الراوي: «غابة كثيفة الأشجار، متشابكة الدوح والأفنان... أوراقها تهتز كما لو كانت مرتاعة، ووكنات طيورها ترتجف كما لو كانت واجفة... صوت أنثوي يخترق السحر، وأنفاس شريرة متتابعة تدلف من مغارة ضباع وذئاب، ثعالب وبنات آوى تصالحت وتظاهرت على صيد ثمين»[3] نجد أن هذا المقطع قد وضح الكثير مما تزخر به حياة الغابة من حيوانات مفترسة وصيد وعداوة تُشي بالرعب، وكيف دخلتها هاتان البنتان من غير خوف،

[1]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– المصدر نفسه، ص44.

[3]– المصدر نفسه، (غابة الضباع)، ص63.

فكأن الغابة قد أخذت دلالة الوحشة والعداء من جهة، ومن جهة أخرى هي مكان للعلاقات المشبوهة والسرية والتيه والضياع.

وفي مضرب آخر من قصص "العودة إلى الينابيع" نجد ذكر الغابة في قصة "ضياع" وهي ستار لحبيبين قد أدركهما الحب جديدا خرجا في نزهة يتعارفان ويتحابان يقول الراوي: «خرجتما تمشيان في الغابة المجاورة دون هدف...افترشتما لحافا، جلستما تحت ضل شجرة بعد أن لقيتما من سيركما نصبا»[1] ودلالة هذا المكان في هذا المقطع أن الغابة هي مكان للتنزه والراحة والاستجمام.

أما ما نستخلصه من هذا المكان في هذه المجموعة القصصية أن الغابة قد أخذت أيضا دلالات متباينة تتمحور حول أنها كانت مكانا ثوريا ساعد المجاهدين في الثورة المجيدة، فكانت مثالا على المساندة، ومن جهة ثانية هي مكان يوحي بالسرية والغموض والضياع ومن جهة أخرى تشع بالسكينة والراحة والاستجمام.

4 **الجبل:** يتميز الجبل بقمم صخرية حادة وسفوح شديدة الانحدار وقمم مرتفعة العلو، وهو أكثر ارتفاعا من الهضبة، وهناك الجبال الرملية الصحرواية ذات المناظر الذهبية الرائعة.

وهناك من عرف الجبل بقوله: « (...) الجبل وعر، متشابك الأدغال، تتعثر دروبه هبوطا وصعودا، تغمرها أصوات بعيدة متوعدة، وحشرجات قريبة مخيفة، وكأن كل خطوة فيه مزلق من مزالق الهلاك»[2] فهو من المعالم الطبيعية الربانية.

نلمح الجبل وقد احتل نصيبا من المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" في قصة "المفاجأة" حين أعان الثُوار أيضا في مخططاتهم الثورية يقول أحد المجاهدين: «في خفة النمر وسرعة البرق قفزنا على أعلى القمة، محتلين بذلك المواقع الحصينة للانقضاض أو

[1]– المصدر السابق، (غابة الضباع)، ص129.

[2]– حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر الأندلسي (قراءة موضوعاتية جمالية)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 2011، ص63.

الدفاع، من غير أن نحدث نبْسا أو نُسمع همسا قفزنا إلى أعلى قمة جبل (أمَزّوجْ)، لنكون في كامل الاستعداد لدحر العدو في حالة الدفاع»[1] وقوله «رجال في طول النخيل يتسلقون قمة (أمزوج) العتيد...»[2].

القمة هي أعلى الجبل وذروته، والتسلق هو الفعل والطريقة للوصول إلى القمة، وهي صفات أوردها الكاتب في هذا المقطع للجبل يتضح منها أن الجبل كان مسرحا لعديد المعارك التي ساعدت في نجاح الثورة، فكان أداة للتخفي والاختباء يستغلها الثوار آنذاك.

5 البحر:

يعد البحر من الأماكن المفتوحة التي تشكل انفتاحا شاسعا، وهو مكان يقصده الناس للسباحة والتسلية والراحة، لكن ما نلمحه أن ذكره في المجموعة القصصية جاء ضيق المساحة لأنه لم يأخذ أدوارا سردية كبيرة حيث ورد في العديد من المقاطع دون وصف، فذكره لم يمثل أهمية كبرى بل كان مجرد مكان قد جرت فيه بعض الأحداث المتناثرة.

يقول أحد المجاهدين في قصة "المفاجأة" التي تحكي أحداث بعض المجاهدين كما كان لنا سالف الذكر «أمواج البحر تكاد أصواتها تصل إلى أسماعنا ... إنها توحي بخوف ورهب كأنها تريد أن تهز هذا السكون، وتخرق ذلك الاطمئنان..»[3] نعرف أن الأمواج تحدث في البحر بفعل الرياح، وهذه الأخيرة بقوتها الكبيرة وتلاطمها بمياه البحر تحدث أصوات عالية وقوية حيث وصفها الراوي بالخوف والرهب، وأن هذه الأصوات خارقة للسكون والاطمئنان السائد، وهذا ما يوحي بشدة قوة الرياح وعلو الأمواج وهيجانها وقساوة الطبيعة في هذا المقطع الثائر.

وفي مقطع آخر من قصة "الورم" نلاحظ أن الكاتب قد شبه أفكار عمر بالبحر لما يزخر به من صفات كتلاطم الأمواج والسفينة المتآكلة، ويتمثل ذلك في قوله: «كنت رُبَانًا

[1]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (المفاجأة)، ص42.

[2]– المصدر نفسه، ص44.

[3]– المصدر نفسه ، 42/41.

يصارع أمواج البحر المتلاطمة المائجة بسفينة متآكلة، هدفك إيصالها إلى شاطئ الأمان، من غير أن تخرقها لتعيبها... حاولت التشديد على المقود، رفعت صوتك تحاول إلجام المتجادلين»[1].

حاول الكاتب في هذا التوظيف المجازي للبحر أن يربط بين أفكار عمر وصفات البحر الهائج، فأحوال البلاد لم تكن كما يريدها عمر ولم يرضَ بجزء منها، ولا حتى بالمسؤولين الذين يتصرفون في شؤون البلاد وقد أرجع كل ذلك إلى الاستعمار.

البحر كان متخيلا مرتبطا بأفكار إنسان شبيها بها، فاختلاط الأفكار والأراء وتشتتها تشبه تلاطم الأمواج وهيجانها، ويظهر جليا أن لهذا المكان تأثير على نفسية الرّاوي مما جعله يصفه ويُشبهه بهذه الدقة ويربطه بشخصية اجتماعية عادية.

6 الحقل:

هو مكان ضمن الأماكن المفتوحة يتسم بالانفتاح وشاسعة المساحة، وهو قطعة أرض مخصصة للزراعة، يتميز بصفات خلابة وخيرات كثيرة يجنيها الإنسان منه، وقد وصفه الكاتب بأوصاف عديدة في قصة "الذهب الضائع" يقول الراوي: «تراءت حقول من الكروم وقد اخضارت أوراقها، وسرت الحياة في أفنانها ... حفيفها متواصل، تصفيقاتها وهفهقاتها متوالية، عيونها ضاحكة للنسيم، وقدودها المائسة مائدة مع تموجاته الموسيقية»[2] وهذا يعني أن هذه الحقول هي بساتين مزينة بالكروم وقد اخضارت أوراقها في فصل بهيج حافل بحفيف الأوراق وتصفيقاتها المتوالية الدالة على أصواتها الموسيقية وهذا ما يوحي ببهجة الحياة في هذا المكان وجمال المنظر الخلاب.

ويقول في موقع آخر: «إن هذه التموجات السنبلية وهذه السيقان المستوية، وهذه الحقول المترامية نموذج من النموذجات التي تحتذى...»[3] وهذا الوصف يوحي بدلالتين

---

[1]– المصدر السابق، (الورم)، ص56/55.

[2]– المصدر نفسه، (الذهب الضائع)، ص47

[3]– المصدر السابق، ص 48.

تتمثل الأولى في الجمال بفضل لفظة: التموجات والمستوية والمترامية وتتمثل الثانية في الخير والعطاء من خلال السُنبلية والحقول المتزامية الكثيرة، وهي صورة للحقول جعلها الكاتب نموذجامن النماذج التي يجب الاقتداء بها ولابد أن تعم كل الأماكن على الأرض.

وفي مقطع آخرحول هذا المكان المفتوح الدال على الثروة الثمينة الضائعة نجد قوله: «الحاصدة تستغيث، والحقول تنتحب، والذهب الخام ينتظر التصفية»[1] وهذه دلالة على أن هذا الحقل ينتظر من يخدمه، فعبارة الحاصدة تستغيث دلالة على قلة المنتوج أو انعدامه، والحقول تنتحب باكية تصف مرارة الوضع التي آلت إليه من جراء تقاعس الفلاحين عن خدمتها، وكلها دلالات توحي بالإهمال والضياع، أما دلالة الذهب الخام ينتظر التصفية فهي توحي بنقص اليد العاملة والجد والعمل الدؤوب.

فالحقل عموما هو منبع رزق للإنسان حاضرا وكنز للأجيال مستقبلا وهو مكان مفتوح على كل المجالات العملية والتجارية والاقتصادية يضم الكثير من الدلالات كالجد والصبر والعمل والخيرات.

7 الأرض:

لقد خلق الله تعالى الأرض أولا ومن بعدها خلق الكائنات الحية، فهي الوسط الذي تعيش فيه هذه الكائنات، وهي مصدر الغذاء والماء.

ونجد أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد تضمنت كثيرا من الحث على زراعة الأرض والعناية بها.

ومن أسس التربية السوية التربية على حب الأرض والانتماء إليها وخدمتها؛ حيث يربي الصغار على هذه الثقافة منذ نعومة أظفارهم ويكبرون عليها.

[1]– المصدر نفسه، ص51.

ونجد في القرآن الكريم عديدا من السور التي تنوعت في دلالاتها للأرض كقوله سبحانه وتعالى: «وترى الأرض هَامِدَة فإذا أَنْزَلَنا عليها الماء اهْتَزَتْ وَرَبَّتْ وأَنْبَتَتْ من كُلّ زَوجٍ بَهِيْج»[1] .وهي دلالات على الخير والنعم والبركات التي تنبتُ من الأرض.

وتتمثل الأرض في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" في كونها الكنز الذي يمتلكه الإنسان وكيف يمكن له الاهتمام به والمحافظة عليه عن طريق حب العمل والصبر، حين بين الكاتب أهميتها القصوى ودورها العظيم في حياة البشر والمقاطع التالية توضح ذلك من قصة "زفاف في البادية" يقول الراوي: «كان الفلاحون مقبلين على زراعة الأرض وهم فرحون تملأهم الغبطة، ويغمر وجدانَهم الحبور والابتهاج، بل لقد كانوا يتنافسون في أيهم يبقى أطول مدة، ويقاوم الإعياء والتعب أكثر من صاحبه...»[2] وفي قول محمد لأبيه: «هل قدرت على زرع الأرض بمختلف الحبوب والخضر يا أبي»[3].

وقول والد محمد: «لا أستطيع أن أتخلى على الزراعة والغرس، ففيهما تجديد حياتي، وبهما يزهر أملي!... إنها إرث أجدادي، وأنا أتعفر بترابها ما دمت حيًا؛ فإنّ هلكت فإنَّ أمرها بيدك، ولكني سأكون ناقمًا عليك لو فرّطت فيها وهجرتها»[4] وهذه دلالة على أن الأرض تعبر عن أصل الإنسان وعن أصالته في الحياة، وهي منبع الخير والأمل في التطلع إلى الأمام.

ونجد أيضا في قول صالح: «كم هي خصبة هذه السنة، وكم هي ثرية بشتى أنواع الحبوب التي يقتات منها البشر»[5] وهي صفات الأرض ذات الخيرات والتي تتمتع بطابع شمولي مفتوح يقتات منه الإنسان ليكمل وجوده في الحياة.

---

[1]– سورة الحج، الأية 05.

[2]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (زفاف في البادية)، ص87.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]– المصدر نفسه، ص90.

وكما قال المكي «الأرض ذهب يا صالح... اعتن بتربتها وشقها بمحراثك وستمنحك كل ما تريد...»[1].

فهذا المقطع يقر بأن الأرض ذهب وهو معدن غالي جدا، ويبين طريقة الاهتمام بها ليصل الفلاح إلى طموحه منها وهي دلالة على العمل والجد والصبر فيما تتطلبه الأرض من خدمة لها.

8 الطبيعة:

هي سر البقاء، فكل ما فيها من خيرات سخرها الله تعالى للناس هي سر استمرار الحياة، فهي من أكثر الدلائل قوة وعظمة للخالق، فعندما يحتاج الإنسان إلى الاختلاء بنفسه والابتعاد عن ضوضاء الحياة اليومية، فهو لن يجد ملاذا أو مكانًا افضل من الطبيعة، بمظاهرها الخلابة ليريح عقله وذهنه وكل تفكيره وتنسيه كل مشاكله.

وما يقال عنها ضمن الأماكن المفتوحة أنها «تمتاز بتنوع غير محدد بسبب رحابتها وامتدادها، وسعتها التي تعطي (...) حرية الانتقاء من عناصرها الجميلة، فضلا عن امتلاكها ايحاءات تثير المشاعر وانفعالات غامضة في نفس الإنسان»[2].

وما وجدناه في مجموعتنا القصصية "العودة إلى الينابيع" أن الكاتب قد كان متأثرًا بهذه المشاعر والانفعالات حيث ترجمها بتعبير نابع من قلبه وصادق وأبدع في رسم هذا المكان الخلاب.

ففي قصة "زفاف في البادية" من المجموعة القصصية التي تروي صفات عدة للطبيعة منها:

---

[1]– المصدر السابق، ص91.

[2]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرّضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013، ص177.

«بين استنشاق الزّهور، وبين معانقة الطبيعة الساحرة التي تخلب الألباب، وتثير المتنزه فيتشبّث بها...»[1] فالكاتب هنا يحاول أن يوصل لنا ذلك المنظر الخلاب بواسطة الوصف الذي صبغ على هذا المنظر فزاده جمالا وهذا ما توضحه المقاطع التالية أيضا:

«إن الطبيعة لتغمزكم جميعا وتدعوكم إليها لتعينكم على تفتق ملكاتم (...) فالهواء عليل، والنسيم بليل، والدينا تعيش في بهرجة من الزينة والجمال، (...) بساتين الصفصاف التي بدت من بعيد تشمت بكل عابر»[2] كلها معالم وصفات طبيعية راح الكاتب اثرها يبحث عن سر الجمال فيها والذي أسر قلبه، فراح يرسمه في عدة لوحات وصفية، فهنا يصف الربيع في قول الراوي: «لم يكن التين قد ظهر في الأشجار بعد، فقد كانت هناك براعم الأوراق الخضراء التي أضفت جمالا أخاذًا، وأصبغت على البساتين رونقًا خاصا يميزها من غيرها إبان الفصول الأخرى ...»[3] وفي ذلك دلالة على فصل الربيع الذي يبدو فيه ظهور الأوراق ونموها مجددًا والاخضرار البراق التي تكون عليه آنذاك والبساتين الواسعة التي تضفي على الطبيعة وتزيدها جمالاً فهي من الظواهر الجمالية الطبيعية التي «تتميز بأشجارها الوافرة الظلال وبأغصانها الخضراء المزهرة والمثمرة، وشدو الطيور عليها، وهديل الحمام، وزقزقة العصافير التي تصدر ألحانًا تصيغ لها الأسماع وتطرب لها النفوس»[4].وهذا ما أبهر محمد فراح يبدع في وصفه بقوله: «أليست حلة الطبيعة إنما هي الأزهير والرياحين والنوار؟... أليست أعراس الطبيعة إنما يُحتفل بها عندما تكتسي الدنيا بجلابيب من السندس الحريري، والأكلاء والحشائش على اختلاف فنونها، فيلتقي الحسنُ بالحسنِ، ويتحد الجمال مع الجمال؟!»[5].

---

[1]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (زفاف في البادية)، ص85.

[2]– المصدر السابق، ص86.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، 217.

[5]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (زفاف في البادية)، ص86.

إنه الربيع وما أروعه من فصل يزيد على الطبيعة زينة وجمال أسر قلب الكاتب فراح ينسج له باقات من الأوصاف الجميلة دالة على الغبطة والسرور والجمال.

وقد تكرر مكان الطبيعة أيضا في قصة "الرهان الخاسر" حيث دقق الكاتب في أبسط الاوصاف التي تعني هذا المكان «الشمس تنثر اشعتها المتلالئة البراقة على الروابي المجاورة، انعكست على قطرات الندى التي تنمق الأشجار، فالتمعت جوانبها كما لو كانت صرحًا ممردًا من قوارير!»[1] الشمس والروابي والندى والأشجار كلها مكونات وأجزاء من هذا المكان الشاسع المفتوح السالب للأنظار، فالروابي «غالبا ما تكون مسرحًا لمظاهر الجمال من الخضرة وتنوع الأزهار، لاسيما في فصل الربيع وقد كانت مكانا يمثل الأنس والعطاء في القرآن الكريم»[2] وهذا ما يظهر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وجَعَلْنَا ابْنَ مَرَيمَ وَ أُمَّهُ آيَّة وأَوَيْنَاهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قرَارٍ مَعين﴾[3] والربوة مفرد روابي وهي مظهر من مظاهر الطبيعة الخلابة وصفاتها الدالة أيضا على الجمال الآخاذ.

وفي لوحة أخرى يصف فيها الكاتب ظاهرة الشفق وهي من الظواهر الطبيعية اليومية في قول الراوي: «...يحمر الشفق وتسقط أواخر أشعة الشمس في بحر من الرّيْهُقان ليخلفها الليل والظلام»[4].

والشفق هو ظاهرة كونية تتميز بها الشمس آخر كل نهار، فتعطي الطبيعة صورة تَخطفُ الأنظار في كل غروب وهذا ما يوحي بمعنى الجمال الخالص لهذا المكان الشاسع الزاخر بشتى اللوحات الجذابة، فهو مكان رباني جعل له الكاتب مقام رفيع بين سطور مجموعته القصصية هذه وذلك لأهميته في حياة الإنسان ودلالته على الجمال والأنس والعطاء والفرح والألفة والسكينة والراحة.

---

[1]– المصدر السابق، (الرهان الخاسر)، ص211.

[2]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، 190.

[3]– سورة المؤمنون، الآية 50.

[4]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (الرهان الخاسر)، ص213.

9 الطريق:

تُعد ضمن الأماكن المفتوحة وهي مُفرد طُرق وهي أمكنة عامة تمنح الناس «حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبدل»[1]؛ أي أنها مكان يُساعد الفرد على التحرك والتنقل بين الأماكن وحرية الاطلاع عليها.

وهي «أمكنة انفتاح، تنفتح على العالم الخارجي، تعيش دومًا حركة مستمرة، تؤدي وظيفة مهمة، فهي سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم»[2] بمعنى أنها مكان مفتوح على العالم الخارجي، يتسم بالحركة، وظيفته توضيح السبيل لمستخدميها والمارة عليها بُغْيَة التنقل.

وما نلاحظه في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" أن الطريق لم يُسجل حضورًا كثيفا فيها، ولم يذكر بشكل دقيق، وإنما تمَّ ذكره في موضع أو اثنين لا أكثر، وذلك ما نجده في قصة " الذهب الضائع" حينما استهل الكاتب كلامه في هذه القصة على لسان المخاطب: «الطريق يمتد فيستطيل، ينعرج، ينحني ثم يعلق سيارتك تفعل معه كالثعبان النشيط في حركاته.. عن يمينه وعن شماله تراءت حقول من الكروم (...) وعلى عذارى الطريق لاحظت أن الأشجار قد تراصت وانتظمت»[3] نلاحظ أن هذه الطريق متميزة عن أي طريق آخر، بفضل صفة الطول والانعراج والانحناء والعلو، فقد انتظمت على حافتي الطريق العديد من الأشجار، ولوحظت حقول الكروم وكل هذا يوحي بالجمال البارز المتجلي في الانفتاح على هذا المنظر الخلاب الدال على الانطلاق والحرية والاتساع.

والملاحظ أن هذا المكان أو الشوارع والأحياء أن الكاتب لم يركز عليها بقدر ما ركز على أماكن أخرى، ولم يعطيها وصفا جغرافيا مكانيا تاما ولا اتصالا مباشرا بعناون القصة.

---

[1]– ياسين النصير، الرواية والمكان، ص114.

[2]– الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، 244.

[3]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (الذهب الضائع)، ص47.

إن ما نخلص إليه ضمن هذه الدراسة –الأماكن المفتوحة– أن المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" قد قدمت لنا صورا متنوعة على النضال والكفاح ضد المستعمر، وبعضا من التجارب الانسانية التي استمدها الكاتب من الواقع، والتي نلمس فيها كثيرا من التفاؤل تجاه مصاعب الحياة، ومن خلال النماذج المذكورة يتضح لنا فقر الوصف لبعض الأماكن منها عند الكاتب فقد اكتفى بذكر اسمائها، ولم يُعْنى بوصف دقيق لأبسط الأركان منها أو محيطها؛ أي أنه لم يغرق في وصف التفاصيل المعمارية والجغرافية لهذه الاماكن بقدر ما ركز على اسمها وما تزخر به من سمات ومميزات

2 الأماكن المغلقة:

المكان المغلق هو «المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كغرف البيوت، والقصور، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسجية السجون، فهو المكان الاجباري المؤقت، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدرا للخوف»[1]؛ أي أن الأماكن المغلقة تنقسم إلى جزئين:

أمكنة اختيارية تدل على الأمان والاستقرار كالبيت والمسجد... وأمكنة اجبارية يدخلها الإنسان مرغما تدل على الخوف والرهبة واللاأمان كالسجن والمعتقل.

وقد تُعرف الأمكنة المغلقة بأنها «الفضاءات التي ينتقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه، ويناسب تطور عصره، وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح، وقد جعل الروائيون من هذه الأمكنة إطارا لأحداث قصصهم ومتحرك شخصياتهم»[2] بمعنى أن الفضاءات المغلقة هي التي يقوم الإنسان بولوجها وتشكيلها حسب اختياره وهي نقيض الفضاءات المفتوحة كالطبيعة وما تتمحور عليه.

---

[1]– مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار– الدّقل– المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2011، ص43.

[2]– الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص204.

وتمثل الأماكن المغلقة «الأماكن التي ترمز إلى النفي والعزلة، والكبت، إذ أن الانغلاق في مكان واحد تعبير عن العجز وعدم القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجي»[1].ما نراه من هذا القول أنه قد تمَّ ربط الانغلاق بالنفي والعزلة وعدم التعامل مع العالم الخارجي المفتوح وما يدل على ذلك نجد السجن أو المعتقلات.

ومن الأماكن التي وردت في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" والتي سنغوص في دراستها: البيت، الجامعة، المسجد، السجن، المقهى، الملهى.

1 البيت:

يُعد البيت أو المنزل من بين الأماكن المغلقة، وهو ملجأ الإنسان الذي يأوي إليه بعد عنائه اليومي، يعبر عن الراحة والطمأنينة، وهو بناء يوفر الحماية من الظروف والعوامل الطبيعية المتغيرة.

وهو «واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلقة، كثيرا ما تتداخل أو تتعارض، وفي أحيان تنشط بعضها بعضًا، في حياة الإنسان ينحى البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية، ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا– إنه –البيت يحفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض»[2].

وإذا عدنا إلى المجموعة القصصية فإننا نلاحظ أنه ليس للبيت صورة محددة أو معالم واضحة، فالكاتب لم يحفل بوصفه وإنما اكتفى بذكر وجوده وسرد بعض الأحداث فيه.

فمثلا في قصة "انزلاق على شفا الجُرف" التي تحكي أحداث عائلة تعيش أجواء مزرية في تربية أبنائها حيث يقول الراوي عن الأب وهو عائد من العمل إلى منزله: «عاد

---

[1]– حسين علام، العجائبي في الأدب (من منظور شعرية السرد)، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2010، ص162.

[2]– غاستون باشلار، جماليات المكان، ص38.

إلى منزله متثاقلا كدأبه دائما، ولكنه أبكر هذا اليوم»[1] وهذه دلالة على أن البيت هو مكان يتسم بالانغلاق يلجه الإنسان يوميا وبعد كل عناء يوحي بالراحة والاستقرار، ويأخذ فيه حريته التامة في العودة إليه.

ويتكرر ذكر المنزل بلفظ الدار في قوله حين ناقشت الأم أبنائها في عدم الاهتمام بها والاكتراث لما تقوله: «ما شاء الله... والدار التي تسكنها من اشتراها؟.. ألم يكن ذلك براتبي وراتب أبيك»[2] وهذا ما يدل على أن البيت أو الدار هو مكان مغلق يكتسبه الإنسان بثمن ويملكه طيلة حياته ليؤمن له الاستقرار والأمان والسرية والألفة.

ويقول الراوي أيضا في ذكر المنزل «هجر الولدان المنزل الأبوي»[3] وهذا يعني أن الحياة في المنزل هي اختيارية حيث يسكنه الإنسان حين تتوفر فيه الراحة والاستقرار، وهذا ما دل عليه عنوان هذه القصة، فهذا الانزلاق أدى إلى ضياع هذه الأسرة وتشتت أبناءها فأصبحت دلالة البيت هي الضياع والوحشة والنفور وهذا ما يبينه المقطع الآتي من هذه القصة: «الدّار.. الدّار.. لو سمح لي لأحرقتها وهدمتها ..ماذا نفعل نحن بداركم هذه؟»[4] من هذا نكتشف أن الكاتب أراد أن يقول أن البيت لا يأخذ طعمه الحقيقي وعيشته السعيدة ودوام الهناء والرّاحة فيه بدون ناس يتسمون بالانغلاق فيه حيث تجمعهم الرحمة والمودة والحب والألفة داخله.

وكما جاء ذكر البيت أيضا في قصة "حصاد الشوك" وهي قصة تروي حياة امراة كانت في قمة الجمال، ما جعلها مغرورة بنفسها مما أدى إلى حصاد لا تتأمله أو حصاد شوك يقول الراوي: «تتقلب في منزل وضيع لا يسع حتى نصف الأفراد الساكنين فيه»[5]وهذا

---

[1]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (انزلاق على شفا الجرف)، ص102.

[2]– المصدر السابق، ص105.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]– المصدر نفسه، (حصاد الشوك)، ص198.

يعني أن هذا البيت كان صغيرا ضيقًا متواضعًا لا يؤمن الراحة والاطمئنان منغلقا على مساحة محدودة لم تتحمل هذه الشخصية العيش فيه.

وفي قوله أيضا يصف حال ولدها: «ينام كل يوم على وجه غريب ويصبح على وجه آخر (...) لا علم له بما يجري، ولكن سرًا غريبًا يكمن داخله(...) أسماء كثيرة، وصور متعددة كان شاهدها في البيت... تقول له أمه: «هذا عمك سعيد، وهذا الأخضر، وهذا الميلود»[1] فقد أخذ هذا البيت دلالة الدعارة وأنه بيت غير شريف جراء ما يحصل فيه وهذا لأنه مكان مغلق منعزل.

هكذا يظهر لنا هذا المكان مفتقرا لأدنى جزئياته المعمارية إذ لم يركز الكاتب عليه ولو حتى بوصف بسيط لبعض مكوناته كالغرفة والإنارة والطوابق وغيرها بقدر ما ركز على دلالاته الترميزية فهو مكان مغلق يتسم تارة بالراحة والاستقرار وتارة أخرى بالضياع والحرمان وتارة ثالثة هو مكان مغلق معزول عن العالم الخارجي دال على الدعارة الموظفة فيه.

2 الجامعة:

هي مكان مغلق ومحيط شاسع يشمل عدة تخصصات علمية ومعرفية وايديولوجية، تستقبل كل سنة عدد هائل من الطلبة والطالبات الناجحين في التعليم الثانوي (البكالوريا)، فهي تُعد أعلى مؤسسة في التعليم العالي ومرحلة مهمة في حياة كل من دخل فيها.

وقد وردت الجامعة في المجموعة القصصية في عدة مواضع نذكر منها:

قصة "سمام" من المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" التي تحكي قصة الفتى عمر الذي فاز بشهادة البكالوريا، ليغريه صاحبه خالد بالدراسة في جامعة السّوربون في فرنسا بعدما أغراه بعدة صفات عنها علما أنه «يدرس هناك من نحو سنوات أربع (...) فزعم له أن الدراسة هناك أحسن من بلده، وأن الأساتذة أثقف من هؤلاء، وأن المخابر منتشرة في رحاب الجامعة بدون عدد»[2] وهذا يعني أن الجامعة الفرنسية مغايرة للجامعة الجزائرية

[1]– المصدر السابق، ص202.

[2]– المصدر نفسه، (سمام)، ص17.

من حيث الدراسة ووسائلها، لكن الدلالة البارزة في هذا المقطع أن هذا الكلام كان مزعوم لعمر وهذا ما يوضحه المقطع الموالي حيث يحاول خالد إقناع عمر فزين له: «الجو الإباحي الذي تعيشه فرنسا.. أفهمه أنه يستطيع قطف ثمرة من كل غصن، وجني فاكهة من كل فنن.. فهناك جنسيات مختلفة من السّويد، ايطاليا، والدّنمارك، وانجلترا.. وكل طالبة من هذه الأمم إنما قدمت إلى الكلية رغبة في الدراسة من جهة، وتوقانًا إلى الاقدام على مغامرات عاطفية مختلفة»[1] وهذا ما يوحي بأن الجامعة الأجنبية تتسم بالحرية المطلقة التي يتمتع بها طلابها، حيث لا تقيدهم عادات ولا ديانة، وهي تجمع عديدا من الجنسيات المختلفة، وهي دلالة على أن هذا المكان بانغلاقه على رقعة محدودة فيه هذه الصفات فداخله كثير من القصص العاطفية التي تتعارض مع الأخلاق والدين الإسلامي.

وفي مقطع آخر نجد ما تزخر به الجامعة العربية –الجزائرية– في قول الرّاوي أن عمر قد: «أَلِفَّ أنه إذا حضر الأستاذ، طفق الصمت يعود إلى القاعة تدريجيا، فإذا نظر إلى الطلبة انتهى كل شيء، أما حينما يشرع في إلقاء المحاضرة أو التطبيق، فإنّ الأنظار برمتها تتسمر عليه، وهدفها أن تعب من العِلم وتنهال من المعارف المختلفة»[2] وهذه دلالة على أن هذا المكان داخله يشع بالعلم وهو يعني الاستقامة والجدية في طلبه.

وهذه أيضا بعض المقاطع التي تبين ما تزخر به الجامعة الأجنبية –الفرنسية– والتي لها علاقة بعنوان القصة "سمام" أن هذا المكان يتمتع بكثير من الصفات اللاأخلاقية والعلاقات اللاشرعية والتي يعرفها والد عمر وكان قد نصحه من قبل، ويتجلى ذلك في قول باسكال: «إن الصداقة النزيهة في أوروبا لا وجود لها»[3] وهذا ما يوحي بأن هذا المكان الأوروبي يعتمد المنطق الحر في أفعال الناس، وليس عندهم ما يدعو إلى التقيد بأشياء أو

---

[1]– المصدر السابق،ص17.

[2]– المصدر نفسه، ص18.

[3]– المصدر نفسه، ص20.

الخجل فيها، وذلك لمعتقداتهم ولطبيعة هذا المكان وهذا ما حاولت تلك البنت باسكال ايصاله إلى عمر الذي كان متفاجئ في كل الأوضاع.

ونلاحظ أيضا من كلام والد عمر عند ذهابه يودعه قائلا: «تصحبك السلامة يا بُني وحذار من سموم أوروبا»[1] أنه كان موقنًا بدلالة اللفظ "سموم" والذي يدل على تشبيهه لنساء هذا البلد بالأفاعي التي تذرف سمومها بأخلاقها السيئة وعاداتها الرّذيلة.

وهذا ما يؤكده المقطع التالي بعد أن وقع عمر في فخ وشباك احدى بنات هذه الجامعة حين قبل بشروطها بالزواج حيث قامت بفرض شروطها عليه، وذلك يتضح في قولها: «أن تدين بديني وتتجنس بجنسيتي»[2] ليرد عليها عمر بعد أن وصل السم إلى كامل أنحاء جسمه بقوله: «اقتراحك أمر وطلبك مستجاب»[3] وبعد أن استفاق من سكرته «تجلت له غلطته العُظمى واستبان له خطؤه الأكبر ورأى أنه لن يصلح ذلك إلا بالعودة إلى وطنه»[4].

من هذه القصة تتجلى لنا دلالة هذا المكان الأجنبي لا يصلح إلا لمن كان أوروبي الأصل يتمتع بكل الصفات الجارفة والتي توحي بالضياع والحرية المطلقة والتي تتعارض والجامعة العربية التي تضبطها قيود وتحكمها عادات وتقاليد وأخلاق واحترام، وعمل وعلم وأدب حيث لا سموم ولا أفاعي، وبهذا نلاحظ أيضا أن الكاتب في هذا المكان لم يتم وصفه وصفًا جغرافيا، بل نجده قد ربطه بصفات شخصياته فالشخصيات عملت على عكسه لنا من خلال مُرَاوَدَتها فيه، لأنه مكان يتسم بالانغلاق وضمنه نجد دراسات خاصة وعلاقات عامة وخاصة.

3 السجن:

يعد السجن فضاءً مغلقًا وهو مكان إجباري الاقامة، يُسلب الإنسان فيه من أبسط حقوقه، حيث يُعبر عن القيد والظلم والاستبداد «فالحرية أثمن شيء في الحياة فقد جُبل

---

[1]– المصدر السابق, ص22.

[2]– المصدر نفسه، ص23.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه، ص24.

الإنسان على الترحال والتنقل في أرض الله الواسعة، لا تحده حدود ولا تضيق به بلاد، ولكن دوام الحال من المحال كما يُقال، فكثيرًا ما يقبع الإنسان خلف قضبان تسلبه حريته وتفقده إرادته»[1] داخل السجن محدود الرقعة مضغوط المفاتيح.

والسجن يُعرف بأنه: «هو الذي يُشكل عالمًا مناقضا لعالم الحرية، تنتقل إليه الشخصية مكرهة، تاركة ورائها فضاء الخارج إلى عالم مغلق هو الداخل المحدود، فتنطوي على نفسها بعدما كانت متفتحة على المجتمع والوجود، تكتشف فيه حياة جديدة لها قيمها المختلفة عن تلك التي ألفتها»[2] ؛ أي أنه فضاء لا يمكن للشخصية فيه من الهروب، وهو مكان مكره حيث تنطوي فيه الشخصية على نفسها بقيم جديدة وحياة مغايرة عن المكان المفتوح، فهو مكان يُرغَمُ السجين على العيش والولوج فيه.

وإذا ما عدنا إلى المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" فإننا نلاحظ أنه ليس للسجن أيضا معالم واضحة أو صورة محددة، فقد جاء هذا الفضاء المغلق ضئيل الذكر ومنعدم الوصف ويتمثل ذلك في موضوعين فقط.

تمحور المقطع الأول في ذكر السجن في قصة "انزلاق على شفا الجرف" على هذا العنوان الذي كان دليلا لهذا المكان المغلق وهو الذي لجأت إليه إحدى شخصيات القصة ،وهو ذلك الولد العاق لوالديه. يقول الراوي «فلم يشعر والده إلا وهو يُودع غيابات السجن.. ويفلحان في ابعاده عنه بصورة ...مؤقتة»[3] فدلالة هذا المكان في هذا المقطع توحي بأنه مكان مظلم عاتم اللون لا حرية فيه، وأن الإنسان يدخله مرغما غصبًا عن إرادته حيث يترك من يزوره أو يحاول اخراجه فهي دلالة على القيد وفقدان كل الحريات والانعزال والحرمان.

---

[1]– محمد عويد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي (من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي)، دار الرضوان، عمان، ط1،2012، ص137.

[2]– الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص222.

[3]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (انزلاق على شفا الجرف)، ص105.

أما الموضع الثاني والذي ورد فيه هذا المكان ما نجد في قصة "ضياع" حينما قضى فيه ذلك الفتى مدة من عمره جزاءً لجريمته الأخلاقية بما فعله بتلك الفتاة المتحررة التي كانت ضد أخلاق أبيها الحميدة، وتجلى ذلك في قول الرواي: «قضى سنتين في السجن، ولكنه أنهى عذابه وعاد في الوقت الذي ضاعت فيه صاحبته وغابت آمالها وراء الحرية المزعومة»[1].

هنا يتبين أن هذا المكان قد جاء عقوبة لشخص تعدى حدوده الاجتماعية فنال جزاؤه لما فعله، ويتضح أن للسجن إقامة محدودة الزمن تتمثل في عدد الأشهر أو السنوات كما جاء في هذا المقطع الذي أخذ صاحبه سنتين سجنا، وقد تكون فيه الاقامة الجبرية المؤبدة والتي تعني عدم الخروج منه.

وقد وصف السجن بعد قضائه سنتين وخروجه بالعذاب، الذي يدل بدوره على العناء والشقاء، والانغلاق والحرمان والضياع الذي أخذ عنوان هذه القصة فدل على التيه والعصيان والنفور؛ أي أن السجن هو عقوبة لكل من خالف قانونًا وفيه يُسلب الجاني من كل حقوقه ويُعاقب بأشد العقوبات وهذا ما يؤكد على «أن السجن يشكل انتقالا من الخارج إلى الداخل من العالم إلى الذات، إنه محاولة تدمير الكائن بحرمانه من مجال تحركه، مع تجريده من جميع أشيائه، وبخاصية بتجريده من اسمه، وإلصاق رقم مكانه، إنَّ نفي الاسم يُعد أقصى درجات التدمير والاقصاء»[2] فالسجن يأخذ دلالة الضياع والتدمير والحرمان والانعزال والشقاء والعذاب.

4 المسجد:

مما نعرفه أن أول ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حينما وصل إلى المدينة المنورة هو بناء مسجد فالمساجد هي بيوت الله التي بنيت للعبادة والتَقرب من الله عز وجل

[1]– المصدر السابق، (ضباع)، ص131.

[2]– حسين علام، العجائبي في الأدب، ص170.

والمسجد يساعد على بناء مجتمع سليم، متكامل وسَوِي، وسمي المسجد لأنه مكان السجود للخالق.

ويُعرف المسجد بأنه «يشكل إلى جانب الأماكن الأخرى بناء المكان العام للخطاب، يُفتح على الناس كمكان للعبادة، يتجمعون فيه لداء الفريضة والتزود، من أجل مواجهة ظروف الحياة الصعبة، ينتقلون إليه في حركة متكررة خمس مرات في اليوم، يدفعهم الزام نابع عن ايمانهم وارتباطهم بربهم، يأتونَهُ تقودهم رغبة روحية»[1]فهو المكان الذي ينغلق على الصلاة والعبادة والمناجاة والتزود بالإيمان والاخلاص لله تعالى.

والمسجد أيضا في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" لم يأت بحضور كثيف، فقد جاء في قصة "غابة الضباع" كمفارقة أراد الكاتب من ورائها التفريق والمقارنة بين احداث هذه القصة التي تشع من جهة أولى بالعبادة والإيمان حيث كان الناس في المساجد يودعون شهر رمضان الكريم، ومن جهة أخرى هؤلاء البنات اللواتي يقمن علاقات لا اخلاقية مشبوهة، يتضح ذلك في ذكر المسجد في قول الراوي كمقدمة للقصة: «شهر رمضان يودع جموع من المؤمنين في المساجد تتهجد وتتبتل، جموع أخرى تعتكف»[2]فأخذ المسجد دلالته الأصلية من صلاة وعبادة ودعاء واعتكاف على عكس أحداث القصة التي كانت توحي بالدعارة والفاحشة والرذيلة.

فلم تكن علاقة هذا المكان وطيدة بعنوان القصة، بقدر الزمن التي جرت فيه أحداثها.

5 المقهى:

[1]–شريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، 234.

[2]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (غابة الضباع)، ص63.

ضمن الأفضية المغلقة نجد المقهى وهو «ملتقى العامة من الناس، يجلسون فيه لقضاء أوقاتهم، يتشاورون ويتباحتون في أمورهم الحياتية»[1]؛ أي أنه مكان للتحاور والمناقشة وتبادل الأراء والالتقاء.

وهو أيضا «يقوم بدور فاعل في أحداث المجتمع، فهو مكان لتجمع الكتاب والشعراء يتذاكرون، ويتسامرون، وقد يكون مكانًا لتجمع العاطلين عن العمل لنفث همهم فيه»[2] بمعنى أنه مكان يستقبل كل طبقات المجتمع لتبادل الآراء وتفريغ الهموم.

والمقهى في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" لم يأخذ هو الآخر نصيبا، فقد اكتفى الكاتب بذكره في مواضع قليلة.

نجد مثلا في قصة "ثورة المرأة" من "قصص متشبعة" من المجموعة القصصية أن المقهى أخذ مقر التقاء صديقين، حيث يقول أحدهما «فلنقصد مقهى "عدن" فلعل جوّها الأقل صخبا يُسْعفنا في تبادل بعض الأفكار واسترجاع بعض الذكريات»[3] أول ما نلاحظه في هذا المقطع أن الكاتب قد خص هذا المكان المغلق –المقهى– ما يدل عليه باسم (عدن)، فغالبا ما تتسم المقاهي بلافتات إشهارية عليها أسماء مختلفة أو عبارات تدل عليها بين مقاهي أخرى، فما نجده في واقعنا العربي أن المقاهي في العالم العربي منتشرة بكثرة ولا بد من تمييزها بأسماء وإشارات.

ونلاحظ كذلك أن المقهى يتمتع بالضوضاء والصخب الذي ينقص في هذا المقهى (عدن) فهو مكان ينغلق على تبادل الآراء واسترجاع الذكريات فهو دلالة على الوحدة الاجتماعية والحرية في التعبير وهو مكان للخلاص من العناء اليومي يمثل الألفة والوُدَ بين مزاوليه ورواده.

---

[1]– محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2012، ص215.

[2]– حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ص106.

[3]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع، (ثورة امرأة)، ص29.

وفي موضع آخر من هذه القصة نستشف بعض صفات داخل المقهى بعدما ولجاها هذين الصديقين يقول الراوي: «هناك رأيتما أجناسًا مختلفة، سجائر تنهك الشفاه من الضم، وتتعب الرئة من كثرة التنفس... رشفات القهوة المعصورة غالبا أو المنصفة أحيانا يُسمع لها حس وصوت... تخذتما مجلسا في زاوية منعزلة يغلفكما الصخب (...) ومن حين إلى آخر تجرفكما موجة عارمة من الضوضاء توشك أن تغرقكما»[1] في هذا المقطع يصف لنا الكاتب أجواء هذا المقهى وما فيه من فوضى وصخب وكثرة الناس وما يتعاطونه من سجائر مَلأت دخانها المقهى، فكانت دلالة هذا المكان المغلق الازعاج والفوضى العارمة التي كانت من حين لآخر، جراء الأهداف الكروية التي كان يشاهدها الجالسون في هذا المقهى، وهو مكان لم يكن رئيسي ولم يرتبط بعنوان القصة التي كانت تحكي يوميات شخص عادي.

وقد تكرر ذكر هذا المكان أيضا في قصة "الوريقة الملعونة" التي تحكي عن طالب جامعي يُقدر قيمة العلم بعد أن أعد رسالته الجامعية لرتبة دكتوراه جاءته الورقة الملعونة كما وصفها تقول أن رسالته سوف لا تناقش لكثرة الدراسات العليا، فورد ذكر المقهى على لسان أحد رواده في قوله: «... اعداد الشهادات العليا أسهل من ارتشاف فنجان قهوة معصورة في (مقهى الأمل)»[2] فقد كان هذا القول لأحد الأصدقاء «وهو ينوب عن الحقد الدفين لبعض الحاضرين من أمثاله»[3].

وصف المقهى في هذين المقطعين لم يأتِ بشكل دقيق غير أنه مكان مغلق على شرب القهوة واسمه (مقهى الأمل) الشعار الذي كان يحمله ويدل على الراحة والألفة والحرية وكل ما يبعث على الأمل في النجاح والحياة.

---

[1]– المصدر السابق, ص30/29.

[2]– المصدر نفسه، (الوريقة الملعونة)، ص175.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يبدو جليا أن الكاتب في مجموعته القصصية هذه لم يربط أغلب الأمكنة والأحداث التي تجري فيها بعناوين القصص وربما لتعمده لذلك ليثبت أنه باستطاعة المكان الواحد أن يتعدد في الدلالات بفعل الأجواء والأحداث التي يشتمل عليها.

6 الملهى:

الملهى الليلي أو النادي الليلي هو مكان مغلق يتناول أمور مخالفة للقانون من جهة، وللأعراف والتقاليد من جهة أخرى، حيث تنتهك فيه المحرمات وترتكب فيه المعاصي البشعة طوال الليل، نجد فيه الموسيقى بأصوات مرتفعة، وأضواء متنوعة الألوان، وشرب الخمر بكل أنواعه هو أساس هذا المكان، وغالبا ما نجد زوار هذا المكان يأتونه هروبًا من الأوضاع المزرية أو للنسيان والترفيه أو من الحالات النفسية والجنسية المضغوطة.

وهو في المجموعة القصصية مكان مغلق قامت فيه عايدة ووديع في قصة "الحزن الباسم" بعمليات فدائية كثيرة راح اثرها الكثير من الصهاينة يقول الراوي: «لم تمضِ إلا بضعة شهور قبل أن تناط بعملية فدائية داخل ملهى في العاصمة»[1] فعايدة كانت في حالة شغف وولع أن تزف في سبيل وطنها شهيدة مفتخرة ببطولتها المجيدة، فقد كانت من فترة لأخرى تستهدف ملهى من الملاهي الصهيونية بزيها المتنكر، وقد كانت هذه العملية في ملهى من الملاهي المغلقة على الصهاينة وهدفها أن تقضي على أكبر عدد من الصهاينة داخله.

وفي مقطع سردي آخر يتكرر ذكر الملهى بوصف بعض أجوائه فيقول الراوي: «تقدمت النادلة من عايدة، فطلبت قدح خمر لكيلا يفتضح أمرها، ثم إن المشروبات الأخرى منعدمة بطبيعة الحال»[2].

وقوله: «اختلط الحابل بالنابل، والذكر بالأنثى وراح كل (موشي) يغني على متيمته من اليهوديات.. كان اليل مقمرًا زاهيا وخيوط أشعته الفضية تقاوم انعكاسات المصابيح

---

[1]– المصدر السابق، (الحزن الباسم)، ص74.

[2]– المصدر نفسه، ص75.

الكهربائية الملونة الباهتة، وهم في نشوة لا تعد، وغبطة لا تقاس»[1] نلاحظ من هذين المقطعين أن الملهى ورد من خلال وصف البطلة عايدة التي كانت مناضلة من أجل الحرية، وهذا الملهى الصهيوني الذي كان منعدم المشروبات العادية، فمن مميزات هذا المكان التمتع داخله بشرب الخمر والذي تزيفت عايدة في شربه لكي لا تنكشف.

وما نلاحظه أيضا أن الكاتب لم يركز على المكان فحسب، وإنما نراه يحاول أن يجسد الحالة التي كان عليها رواد هذا الملهى الذين اختلطوا ذكرا وأنثى وراح كل واحد يغني مخمورا على حبيبته، حيث كان الليل يسوده نور القمر الزاهي، والأنوار الكهربائية الملونة والفرح الذي كان يعم المكان.

فقد كانت هذه الصورة لهذا الملهى دلالة على الحرية الشخصية وغياب الوعي والإدمان المطلق على هذا المكان.

وقد اختار الكاتب هذا المكان من بين الأماكن الصهيونية الأخرى لأنه المكان المغلق الأكثر عصيان وظلم وعداء ووحشية، ولتستطيع البطلة عايدة الولوج فيه بسرية والخروج منه منتصرة.

أما وديع «فقد كلفته القيادة بان يكون قريبا من الملهى لينظر ما يحدث»[2] لأن عايدة ووديع كانا على عهد ووعد بأن يُقدما حياتهما فداء من أجل نيل الحرية المسلوبة.

فقد كان وديع قريبا من الملهى ليلاحظ ما يجري وهو في كامل الاستعداد وليتدخل إن لزمت الضرورة، ويقول الراوي أيضا: «في هذه الآونة انطلق دوي اهتزت له أرجاء المدينة، وتزلزلت له الأماكن المجاورة للملهى (...) وهاهي ذي عايدةتبارح الملهى خفيفة نشيطة في ابتهاج عارم»[3] يبدو أن هذا الملهى كان يقع في وسط المدينة وكانت بجانبه اماكن كثيرة مجاورة له تعج بالسكان، وأنه مكان ينغلق على رواده مما يوفر لهم الحرية في

---

[1]– المصدر السابق، ص76.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المصدر السابق، ص76.

تصرفاتهم، وهذا ما جعل عايدة تسلل بينهم في ثقة متنكرة وتخرج منه في ابتهاج، فقد نجحت في تقديم عمليتها الثورية، وفي هذا يقول الراوي أيضا: «إذا الشرطة الصهيونية تحاول القبض عليها أسيرة لكنها كانت أسرع منهم، فهاجمت ملهى عنوة واعتصمت بإحدى الزوايا..»[1] فقد كانت عايدة تتميز بقوة وشجاعة وفطنة على الدوام، حيث كان هذا ملهى آخر أرادت أن تنهي عليه أيضا يقول الراوي «ألقت عايدة قنبلتين يدويتين، تطايرت شظاياهما إلى كل ناحية من أنحاء الملهى»[2] لتسقط شهيدة وقد فارقت حبيبها وديع من أجل وطنها المسلوب متأملة يوما الحرية والاستقلال.

وبهذا يعد فضاء الملهى وسيلة من الوسائل التي استعملها الثوار في النيل من العدو الغاشم، فهو مكان مثال للعصيان والفتنة والظلم وقد ركز عليه الروائي في هذه القصة ليبين قيمة الأعمال الفدائية فيه ومالها من خطورة.

(الحزن الباسم) هو عنوان هذه القصة، فقد كانت أحداثها حزنًا وحسرة وألمًا على فراق شباب مثل هؤلاء وعلى المشاهد المؤثرة والجرائم التي كانت تقام في حق الفلسطينيين، لكنه كما وصفه الكاتب حزن باسم وضاحك، في انتظار الأمل، متطلع لنيل الحرية والاستشهاد من أجل أغلى الأوطان.

وفي الأخير يمكن القول أن الأديب محمد مرتاض أولى أهمية خاصة في وصف الأماكن المفتوحة فجاء وصفها بدلالات مختلفة دالة على الانفجار والسرية والجمال والعمل والانطلاق وحب الوطن بالإشارة إلى محتوياتها.

على عكس الأماكن المغلقة تماما، فالكاتب لم يصفها على الإطلاق ولا بوصف مادي ولا هندسي جغرافي، فقد جاءت محملة بأوصاف أخرى تحمل وظائفها دلالات كثيرة كالحماية والعقوبة والدراسة والعبادة والفداء.

---

[1]– المصدر نفسه، ص82.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفـــصل الثاني

المــكان وعلاقـــاته بالعناصر السردية

1. المكان وعلاقته بالشخصية
2. المكان وعلاقته بالزمن
3. المكان وعلاقته بالحدث

إن المكان لصيق الصلة بمختلف مكونات الرواية، إذ لا يمكن تصور شخصيات تتحرك واحداث تجري وزمن يسير بدون رقعة يحدث فيها المسار الحكائي، وسنوضح في هذا الفصل علاقة المكان بغيره من العناصر.

أولا:علاقة المكان بالشخصية الروائية:

تعد الشخصية أحد أهم عناصر العمل الروائي، فهي «تعد مكونًا أساسيا في السرد، فالحكاية باعتبارها مجموعة أحداث يستدعي تحققها وجود شخصية واحدة على الأقل»[1] فلا يمكن لأحداث القصة ان تكون بلا شخصية أو أكثر.

وهي «أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة»[2] ذلك لأنها مسير الأحداث، ومُعَياَشَتها لها إما عن قصة حقيقية وقعت على أرض الواقع أو قصة من خيال إبداعي للكاتب.

«ولا غرابة أن تُعد الشخصية مدار الحدث سواء في السرد او الواقع أو التاريخ نفسه، إذ لا قصة ولا رواية بلا شخصية»[3] وهذا يعني أنها مكون أساس ورئيس في أي قصة او رواية.

وهي «عامل تكويني وبنائي مهم في بنية الرواية إذ أنها تمثل العامل المشترك الأكبر، حيث ترتبط بالحدث مرة وبالزمان مرة وبالمكان مرة ثالثة، وهكذا نراها متصلة بكل عناصر

---

[1]– عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2010، ص153.

[2]– مجدي وهبة وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص208.

[3]– محمد جواد حبيب البدراني وجمان فيصل فليل الطائي، شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة(سكان الهلاك لثامر معيوف نموذجا)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص63.

الرواية اتصالا مباشرا أو غير مباشر حسب متطلبات السرد»[1] فهي النقطة الرابطة لكل عناصر الرواية والتي تضمن انسجامها.

وتعد أيضا«ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية فالرواية شخصية»[2] ذلك لأنها مظهر أساسي من مظاهر الرواية العربية، ولها دور فعال في الواقع وما تؤديه من حركية واستمرارية في الحياة.

كما تُعرف الشخصية بأنها: «ليست الشخصية الروائية وجودا واقعيا، وإنما هي مفهوم تخييلي، تدل عليه التعييرات المستخدمة في الرواية»[3] أي أنها ليست دائما شخصية موجودة في الواقع بل تتعدى هذا المفهوم إلى كونها شخصية متخيلة من ابداع مخيلة الكاتب.

وفي «تقديم الشخصية طريقتان: طريقة مباشرة، وذلك عن طريق الوصف الجسدي، والنفسي للشخصية، وطريقة غير مباشرة: حيث يمدنا الراوي بالمعلومات حول الشخصية بالشكل الذي يقرره الروائي»[4] بمعنى أن الراوي لديه قالبين في تقديمه للشخصية، الأول في وصفها خارجيا والثاني بطريقة غير مباشرة.

وقد اختلف الروائيون في تقديم الشخصية الروائية وفق ثلاثة اساليب هي:[5]

1. **الأسلوب التصويري:** حيث يقوم فيه الروائي بتحديد الشخصية من خلال تصويرها من الخارج برصد حركاتها وافعالها وصراعها مع ذاتها او مع غيرها.

---

[1]– المرجع السابق، ص63.

[2]– مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص181.

[3]– محمد عزام، شعرية الخطاب السردي دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2005، ص11.

[4]– المرجع نفسه، ص19.

[5]– ينظر، المرجع نفسه، ص20/19

2. **الأسلوب الاستبطاني:** وهو اكتشاف باطن الشخصية الروائية عن طريق تقنية الاستبطان والمناجاة والمونولوج الداخلي للشخصية.

3. **الأسلوب التقريري:** والذي يفصل فيه الروائي الشخصية عن كل جوانبها المادية، بحيث يقدمها من خلال وصف أحوالها وعواطفها وأفكارها.

أما التحدث عن أهمية الشخصية فجورج لوكاتش يرى أن «اهمية الشخصية تأتي من تمكن مبدعها من الكشف عن الصلات العديدة بين ملامحها الفردية وبين المسائل الموضوعية العامة ومن قدرته على جعلها تعيش أشد قضايا العصر تجريدا وكأنها قضاياها الفردية المصيرية»[1] من هذا يتبين أن جورج لوكاتش قد أشار إلى أهمية الشخصية من خلال إماطة لثام مبدعها عن معالمها الذاتية والموضوعية وقدرته على جعلها تتعايش مع قضايا الواقع تعايشا حقيقيا.

وتكمن أهميتها أيضا في أنها «تقع في صميم الوجود الروائي (...) إذ تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي للقصة بُعدها الحكائي، كما تُعد العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمانية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطراده»[2] لذلك تعد الشخصيات الرابط القوي الذي يربط بين العناصر النصية السردية الأخرى.

ولا نستطيع أن نغفل دور الشخصية في بناء القصة فهي «التي تدور حولها الأحداث وهي التي يجري على لسانها السرد، وهي التي تحمل الرموز والعلامات اللغوية الدالة على ما يريد الكاتب طرحه، وما يريد الناقد أن يستوعبه من النص»[3] اي أنها الفاعل الذي يقوم بأدوار الفعل في القصة والتي يعطيها الكاتب دلالات معينة في العمل الأدبي.

---

[1]– جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط2، 1970، ص28.

[2]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص20.

[3]– محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر الاسكندرية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص31. نقلا عن: محمد جواد حبيب البدراني وجمان فيصل خليل الطائي، شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة، ص64.

وقد لا نبالغ إذ قلنا أن «الشخصية من بين عناصر العمل السردي الأخرى تقوم مقام الرأس لبقية أعضاء الجسد، فهي البؤرة التي تجتمع حولها جميع عناصر العمل الروائي»[1] بمعنى أنها مسير عناصر السرد الروائي والمتحكم فيه بواسطة الأفعال والحالات والحركات التي تقوم بها، وتكون عليها وذلك بما يَبُثُّه الكاتب فيها من إبداعه وخياله.

أما من ناحية علاقة المكان بالشخصية وهذا مَرَامُنا نستطيع أن نقول إنه لا يوجد عمل روائي يخلو من هذه الثنائية، ذلك لأنه لا يمكن أن نتصور مكانا بلا شخصية في عمل روائي والعكس، لأنه «لا معنى للمكان إلا حين يُعاش، والمكان هو الذي يقتضي وجود الشخصيات والأحداث وليس العكس بقدر ما يقتضي المكان الأحداث والشخصيات فهي أيضا تقتضي حضور المكان»[2] أي أن علاقتهما علاقة تلازم وتكامل تستلزم حضور الاثنين.

ونجد أن علاقة المكان بالشخصية «لا تتشكل إلا باخترق الأبطال له وليس هناك بالنتيجة أي مكان محدد مسبقا وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم الأبطال بها ومن المميزات التي تحضهم»[3] بمعنى أن سبب وجود وظهور الأمكنة هو الحدث والشخصية وما يتمحور حولهما.

«إذ أن وصف المكان ومكوناته، وما يحتويه من أشياء يُعد في الوقت نفسه وصفا للشخصية نفسها، ذلك أن للأشياء تاريخا مرتبطا بتاريخ الأشخاص، لأن الإنسان لا يُشكل وحدة بنفسه...لا عجب أن يقال بأن المسكن استمرار للساكن وأن الساكن استمرار للمسكن، ذلك ان كلا منهما يصنع ويكيف الآخر ويطبعه بطباعه»[4] أي أن كل ما يحتويه المكان هو وصف للشخصية التي تعيش فيه برابطها التاريخي، وأن المكان والشخصية نسيج مترابط يكمل أحدهما الآخر.

---

[1]– محمد جواد حبيب البدراني، جمان فيصل خليل الطائي، شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة، ص64.

[2]– المرجع نفسه، ص64.

[3]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص29.

[4]– وليد شاكر نعاس، المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، ص248.

و «المكان يحتل دورا بارزا ومهما في الكشف عن العالم النفسي للشخصية ويقوم بتجسيد إحساساتها وعواطفها ومشاعرها»[1] بمعنى أن المكان هو المعبر عن حالة الشخصية ونفسيتها وما تؤول إليه من عواطف وأحاسيس.

ونجد أنَّ «المكان يقوم بدور مهم في ممارسة الشخصية لطقوسها وفي نوع لباسها وسكانها، وحتى وسائل مواصلاتها، فعلاقة الشخصيات بالمكان قائمة على استمرار ولا وجود للشخصيات خارج المكان»[2] فمثلا لو تأملنا في صورة إنسان من أي دولة عن طريق لباسه وطقوسه وطريقة عاداته وأفكاره سنتعرف عن هويته وإلى أي مكان ينتمي إليه.

والملاحظ أن « حركية المكان وشموليته تنبثق من حيوية الشخصية ومن سيولة المكان المتدفقة دون توقف أي من العلاقة الجدلية وعلاقة التأثير المتبادل أو التضاد والتنافر ما بين الشخصية والمكان، والمكان والشخصية»[3] وهذا يدل على العلاقة الجدلية المتمثلة في الانتماء والتنافر بين المكان والشخصية.

وانطلاقا من ذلك سنحاول دراسة علاقة الشخصية بالمكان في المجموعة القصصية " العودة إلى الينابيع" من خلال ثنائية الانتماء والتنافر.

1. **علاقة الانتماء:**

ويقصد بهذه العلاقة وجود ارتباط حقيقي واتصال مباشر وأُلفة حميمية بين الشخصية الروائية والمكان وتُعرف بعلاقة التمسك والثقة بالشيء والتعلق الكامل والإيمان به، ونجد أن هذه العلاقة قد تجسدت في المجموعة القصصية في بعض قصصها بامتياز، ومن ذلك قول الروائي على لسان ضمير المخاطب في قصة " الذهب الضائع" «وهل هناك ما يحرم عليَّ الاستمتاع بمناظر الطبيعة والتأمل في ملكوت الله»[4] وهذا ما يدل على تعلق الإنسان بالطبيعة الساحرة والتشبث بها، لأنها من أعظم ما خلق الخالق والإنسان من المستحيل أن

---

[1]– مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص193.

[2]– المرجع نفسه، ص192.

[3]– المرجع نفسه، ص 188.

[4]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (الذهب الضائع)، ص48.

يستغني عنها فهو يعيش بين أحضانها ويتمتع بجمالها ويقتات من خيراتها التي كانت في هذه القصة ضائعة ولا يوجد من يخدم هذه الأرض فهي ذهب ضائع كما قال الراوي وهي دلالة على الخمول والضياع من طرف العمال بعدما كانت دلالة على الخير والجمال.

وفي موقع آخر من القصة نفسها يبين لنا أحد الفلاحين مدى تشبث الفلاح بالأرض والفخر بها والانتماء لها في قوله: «فالفلاح لا يكون له شرف التقليب بهذه المهنة إلا بالجد والمثابرة والعمل الدؤوب الكدود»[1] فشرف العمل في الأرض لمن اطهر الأعمال وأزكاها، لأن خدمة الأرض والأكل من خشاشها والتزويد بخيراتها لمن ألذ ما يأكل الفرد في بلده، وهذا كان عكس ما تتكلم عنه هذه القصة التي كانت بحاجة لمن يخدم هذه الأرض التي تنادي فهذا الفلاح من القلائل الذين يفهمون معنى الأرص والعمل فيها في هذه القصة وهو ما يوحي بالعمل والصبر والجد وانتماؤه لها يشعره بالعزة والفخر.

وفي قصة " الحزن الباسم"فالراوي يحكي لنا وهو يوضح قوة العلاقة التي تربط عايدة ووديع بفلسطين وكيف كان لهما أن يلجا المقاومة الفلسطينية مقدمين حياتهما ثمنا لذلك، ويتضح ذلك من خلال قولهما معبرين عن مدى حبهما لهذه الارض الطيبة وانتمائهما لها.

تقول عايدة: «تمنيت ان لو كنت هناك... في ارض الانبياء، ولا تهمني بعد ذلك، طالما كنت إحدى المواطنات البارّات بهذه الأرض الطهور....و...»[2] وهذا ما يدل على حب عايدة لفلسطين وطنها السليب وتعلقها به وتفكيرها فيه بعدما رحلت إلى الجزائر راغبة في الدراسة في إحدى جامعاتها، فمع هذا لم تنكر اسمها أو تتخلى عن بلدها وهذا ما قالته لوديع وهي تحاوره: «وهل تخالني جبانة حتى أموه اسمي وأضئل شخصي»[3] فهي تود أن تصبح يوما ما من الأسماء التي كافحت وحاربت وماتت من أجل وطنها وخلدت باسمها وهذا ما يوحي بالاعتزاز والفخر والحب لعايدة تجاه وطنها.

---

[1]– المصدر نفسه، ص52.

[2]– المصدر السابق، (الحزن الباسم)، ص72.

[3]– المصدر نفسه، ص73.

ووديع الشاب الجزائري أيضا كان متعلقا بفلسطين وطامحا في الذهاب إليها يقول الراوي: «ذلك أنه كان قد دعي للالتحاق بالمقاومة الفلسطينية، وأخطر بأنه يجب أن يكون مستعدا في أي وقت لتلبية نداء الواجب»[1].

وعايدة كذلك كان لها ذلك «فحين خلت إلى وحدتها تأججت في شريانها كلها الحماسة الوطنية، فقررت أن تضرب عن الدراسة للالتحاق بصفوف المقاتلين في الأرض المحتلة»[2] وهذا ما حصل بالفعل، فقد التحقا الاثنان بحلمهما وخاضا العديد من العمليات الفدائية إلى أن استشهدا على أرض هذا البلد الحبيب فكانت هذه القصة بعنوان " الحزن الباسم" دلالة على حب الوطن والفداء من أجله وحب الانتصار والحرية فكانت عايدة ووديع رمزا لذلك.

وفي قصة " زفاف في البادية" يروي لنا الراوي ويؤكد مدى التعلق الإنسان بالأرض وتمسكه بها فقد «لاحظ محمد في زيارته للقرية كيف استحالت حركة دائبة، وكيف كان الفلاحون مقبلين على زراعة الأرض وهم فرحون تملأهم الغبطة»[3] لأن ثنائية الأرض والإنسان علاقة لا يمكن فصلها عن بعضها أبدا وهذا ما بينه والد محمد له في قوله: «اسمع يا ولدي ... أنا معك في أن الأيام نالت مني والإجهاد أخذ نصيبه من جسمي، ولكني مع ذلك لا استطيع أن أتخلى عن الزراعة والغرس، ففيهما تجديد حياتي، وبهما يزهر املي!.. إنها إرث أجدادي، وانا أتعفر بترابها ما دمت حيًّا، فإن هلكت، فإن أمرها بيدك، ولكني سأكون ناقما عليك لو فرطت فيها وهجرتها...»[4] وهذا ما يدل على أن علاقة الأرض بالإنسان هي علاقة تلازمية، فهي إرث من الاجداد وكنز للأجيال القادمة وتبقى هكذا إلى أن يزول الزمن وهذا ما بينه والد محمد.

وفي هذه العلاقة –انتماء– نجد أن محمد بعدما جال بعيدا عن قريته وابتعد عنها، قرر الرجوع والانتماء لها، لأنه أصلا هو منها وهذا ما قاله: «وأخيرا استقر بك المقام في

---

[1]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– المصدر نفسه، ص74.

[3]– المصدر نفسه، (زفاف في البادية)، ص87.

[4]– المصدر السابق، ص87.

بيتنا الريفي الحقير، تركت الماء في الحياط، والنور في الأخياط، وأبت إلى الجفاف والشموع!...»[1] وهذا ما يدل على أنه لا يمكن تجريد الإنسان من أصله، مهما ابتعد ومهما جال في الأرض فحتما سيرجع إلى أصله ومسقط رأسه ويحن إليه.

وفي حوار آخر بين محمد وأبيه تتبين لنا العلاقة الوطيدة بين الفرد ووطنه وكيف لنا أن نضحي من اجله يقول والد محمد: «إن الوطن لنا جميعا فيجب أن نضحي جميعا بجزء من سعادتنا ليسعد غيرنا، ونتحمل قليلا من التعاسة والشقاء لنخفف عن كاهل مواطن من مواطنينا جزءا مما ينوء به من عذاب وألم»[2] فحب الوطن والتعلق به والتضحية من اجله والانتماء له واجب كل فرد.

ونجد أن الراوي في مقطع من مقاطع هذه القصة يحاول الربط بين علاقة الإنسان بأرضه ووطنه مستجليا الحياة فيهما لأن «هدف تحقيق الحياة الكريمة بواسطة خدمة الارض، والتضحية بالراحة من أجل إخصابها وإنمائها(...) لتسري الحياة من جديد في ثمانين بالمئة من سكان أرض المليون ونصف المليون شهيد»[3] وهي أرض الجزائر ووطن العزة والكرامة فالوطن والارض من اغلى علاقات الإنسان في حياته فإذا غابا غاب قدره وشأنه في الحياة كونه يعبر عن أصله وجذوره الأولى.

وعن الحديث في حب الوطن نلاحظ بين ثنايا المجموعة القصصية أن موضوع الهجرة قد أخذ نصيبه هو أيضا، إذ نجد أن المهاجر لابد وأن يعود إلى وطنه يوما ما وذلك لطبيعة العلاقة التي تربطه به.

وهذا ما نجده في قصة "الأمل المبرعم" على لسان أم أحمد: «إن ابن جيراننا سيؤوب إلى وطنه من المهاجر في غضون الأسبوعين المقبلين»[4] وهذا ما يؤكد على أن لكل إنسان

---

[1]– المصدر نفسه، ص88.

[2]– المصدر نفسه، ص89.

[3]– المصدر السابق، ص93.

[4]– المصدر نفسه،(الامل المبرعم)، ص110.

* الاساتيذ: الاساتذة.

وطن ينتمي إليه ولا يمكن أن يستغني عنه، حتى وإن غاب عنه مدة من الزمن سيأتيه وسيعود إليه مرة أخرى. وقد يكون ذلك ربما للطبيعة الدراسة أو العمل وغيرها. وهذا ما يوضحه المقطع الموالي، في قول أحمد لأمه: «هؤلاء الذين تتحدثين عنهم... إنهم يزاولون وطنهم في كل خريف ثم يحلون به من جديد في كل صيف»[1] وهذا ما يدل على أنه لا يمكن لأي فرد أن ينسى وطنه أو أن يتخلى عنه.

وفي علاقة أخرى من علاقات الشخصية بالمكان نجد قصة " الندم يتفجر" التي تبين علاقة التلاميذ بمكان الدراسة وانتماؤهم إليه، فهو مكان تلقي العلم وأخذ الشهادات ونيل النجاحات، ويبرز ذلك في قول الراوي: «رن الجرس...اندفعت افواج التلاميذ إلى الثانوية كالسيل العارم مضطربين قلقين...كثرت الجلبة، امتزجت الأصوات التي حولت إلى ضوضاء... أخذت جموع الساتيذ* الحراس طريقها إلى القاعات.. خف إلى الأقسام المساعدون بأوراق الاختبارات»[2] ذلك لأنه كما نعلم أن علاقة التلميذ بمكان الثانوية هي علاقة الدراسة والنجاح ولابد له من ان يتشبث به لنيل أعلى المراتب، وهذا ما وصفه لنا الكاتب من أجواء يوم الامتحان.

أما عند التكلم عن علاقة الشخصية ببيتها طبعا هي علاقة الألفة والحماية والاستقرار؛ فالبيت هو مأوى الإنسان ومنبع أمنه وبئر أسراره فهذه قصة "ضياع" التي أثبتت أن المنزل أو البيت هو كذلك في قول الراوي: «عادت مساء إلى منزلها تقدم رِجلاً وتؤخر أخرى، يمزقها الندم، ويقتلها اليأس، تمنت أن يكون ما حدث لها ليس إلا حلما»[3] فالمنزل هو ستر صاحبه وحافظ أسراره وعلاقته به لا يمكن أن تتلاشى مما يؤكد علاقة انتماء الشخصية بالمكان.

---

[1]– المصدر نفسه، ص111.

[2]– المصدر نفسه، (الندم يتفجر)، ص117.

[3]–المصدر السابق، (ضياع)، ص126.

* مشدوهين: مدهوشين.

اما في قصة "الندم يتفجر" فالمنزل يغطي خيبة أمل ذلك الفتى الذي لم ينجح في امتحان شهادة البكالوريا فبعد إعلان النتيجة يحكي: «عدت إلى المنزل بخيبة ظاهرة، وحسرة كاسرة، متغير الشحنة، مصفر المُحيَا...تهالكت على سريري في غرفتي الخاصة انثال عليَّ أهل المنزل جميعا ثم وقفوا قبالتي مشدوهين*»[1] وهذا ما يدل على ان علاقة الشخصية بالمنزل علاقة اتصالية؛ لابد وان يعود أي إنسان إلى بيته بطريقة آلية منطقية، لأنه مكان الراحة والاستقرار والأمان وهذا ما يوضحه عنوان هذه القصة بعد تفجر ندم هذا الفتى لم يجد إلا بيته يستره ويريحه.

وفي قصة "انزلاق على شفا الجرف" يظهر لنا الأب وهو عائد إلى منزله مثقلا بالتعب يقول الراوي: «عاد إلى منزله متثاقلا كدأبه دائما، ولكنه أبكر هذا اليوم»[2] فبعد كل عناء وإرهاق وتعب جراء العمل من أجل عيش حياة كريمة وتوفير متطلبات الأبناء يعود كل أب إلى بيته ليجد الراحة والطمأنينة وليكمل عمله في اليوم المقبل. وهذا ما لم يجده هذا الأب في بيته فقد كان أولاده في انزلاق على شفا الجرف جراء تربيتهم التي أثمرت بعدم الصلاح.

وعلاقة القرية أو البادية بالشخصية هي ايضا علاقة متينة وقوية، فالقروي لا يمكن ان يستغني عن قريته أو باديته، وهذا ما يتضح في قصة "زفاف في البادية" مع محمد الذي يدرس في المدينة وقرر زيارة قريته، فقد «أتاحت أيام مارس الصحوة لمحمد زيارة البادية حيث مسقط رأسه...سرق من عطلته يومين ليقضيهما بين استنشاق الزهور، وبين معانقة الطبيعة الساحرة»[3] فمحمد مع انه كان منشغلا بالدراسة بعيدا عن قريته، إلا أنه كان شديد التمسك بها ولم يقطعها أبدا.

---

[1]– المصدر نفسه، (الندم يتفجر)، ص121.

[2]– المصدر نفسه، (انزلاق على شفا الجرف)، ص102.

[3]– المصدر السابق، (زفاف في البادية)، ص85.

وبعد إنهاء محمد دراسته قرر العودة إلى قريته فأعلم أباه قائلا: «...سأعود إلى قريتنا لأعلم الصبيان نهارا وأحارب الأمية ليلا بين طبقة الكادحين..»[1] فهو لم ينس أبدا فضل قريته عليه وما تمثله في حياته، فهي منبت صغره ومسقط رأسه وأصله.

وهذا نجيب أيضا عاش في المدينة مدة من الزمن وتزوج بمدينية لم يعش معها يوما في هناء، وها قد عاد إلى قريته وأعاد الزواج بفاطمة أخت صديقه وعمل طبيبا هناك، لأنه يعلم أنه لن يجد راحته واستقراره وحريته إلا في باديته يقول الراوي على لسان نجيب في قصة " العودة إلى الينابيع" «أصررت على الانتقال على الجنوب حيث مسقط رأسك ومرْبَع صباك، ومنبت هواك، وأقبلت على التطبيب في قريتك تغمرك نشوة الاعتزاز بإنماء واحتك، وتدفعك الرغبة إلى الاستقرار النفسي والانسجام العائلي»[2] فنجيب كان يبحث عن الدفء العائلي الذي ضاع منه وعن الأمان والهناء اللذان سلبا منه، وعيشه في قريته يؤمن له كل ذلك مع عائلته وأهله وأصدقائه منذ الصغر.

وقد كان عنوان هذه القصة ممثلا في عنوان المجموعة القصصية، فالعودة إلى الينابيع هي الدلالة الأولى لعلاقة انتماء الشخصية إلى أماكنها الأصلية، وهي توحي بالأصل والجذور الضاربة في القدم لأصالة الإنسان التي لا يمكن لها أن تزول.

أما ما نلاحظه في علاقة الانتماء في المجموعة القصصية " العودة إلى الينابيع" أن هذه العلاقة كانت متينة مترابطة متواجدة في أغلب القصص، وذلك لعدم تخلي الشخصية الروائية عن أماكنها الاصلية، فأغلب الأماكن التي راودتها الشخصيات كانت من صميم أصالتها وشخصيتها وهويتها، فقد وجدناها تعود دائما إلى وطنها وقريتها وبيتها ومدرستها وبلدها وعلاقتها بها علاقة متينة وقوية.

---

[1]– المصدر نفسه، ص88.

[2]– المصدر نفسه، (العودة إلى الينابيع)، ص14.

وما نلاحظه أيضا أن هذه الشخصيات كانت تبحث في هذه الأماكن عن متطلبات وأشياء قد وجدتها فيها؛ لذلك انتمت إليها كالراحة والاستقرار والأمان وحب الوطن وخدمة الأرض والتعلق بها والتمتع بجمال الطبيعة الجذابة التي لم تستغن عنه أبدا.

2. علاقة التنافر:

ويقصد بها عدم تأقلم الشخصية الروائية وعدم انسجامها مع المكان الذي تعيش فيه أو تتواجد فيه، والمتتبع للمجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" لا يخفى عنه ملاحظة التنافر الذي تعاني منه بعض الشخصيات مع المكان في بعض القصص، وذلك لأسباب تغمر الشخصية في نفسيتها وتقوي عزيمتها على الابتعاد.

فمثلا ما نجده في قصة "سمام" التي تحكي قصة عمر الذي فاز في شهادة البكالوريا فقرر الدراسة خارج بلده لأن صديقه أغراه بصفات عديدة في بلد آخر يقول الراوي: «كانت هذه المغريات كافية لتجعل مراهقا مثل عمر لا يتردد في الطموح إلى جامعة السوربون على غرار زميله...أبرق لخالد بأن اقتراحه قد راقه، وأنه سيكون معه اعتبارا من السنة الجامعية الجديدة»[1]فقد كان سبب نفور عمر من بلده لأجل الدراسة وطلب العلم، فقد رأى أنها ستكون في الخارج أنجح وأثمر من الدراسة في وطنه.

ولكن ما رآه عمر بعد أن سافر جعله يغير كل ما كان في ذهنه وقرر أن يبتعد عن هذا المكان الذي قد يؤدي به إلى الضياع فقد «تجلت له غلطته العظمى، واستبان له خطؤه الأكبر، ورأى أنه لن يصلح ذلك إلا بالعودة إلى وطنه لينجو من هذا الجو الموبوء الجارف الذي قد يسحبه على عنقه، ويجره مع الخشاش إن عاجلا أو آجلا»[2] لأنه اكتشف أن لا وجود لوطن آخر غير وطنه يعيش فيه ويجد ما يحب لأن كل الناس على درب واحد وجو مألوف وهذه دلالة على الامتثال للوطن وعدم التخلي عن الهوية الأصلية فقد كانت

[1]– المصدر السابق، (سمام)، ص17.

[2]– المصدر السابق، ص24.

هذه القصة بعنوان "سمام" توحي بما عايشه عمر في تلك البلد الأجنبي مما جعله ينفر منه ومن سمومه.

وهذا ما حدث لحسن حين قرر هو أيضا أن يسافر بعيدا عن وطنه في قصة " التلاشي في المجهول" فقد «أسر الحسن إلى زملائه في القرية (...) بأنه يقوم بالترتيب للتوجه إلى فرنسا..غبطه جاره إدريس على استكشاف بلاد أوروبا والعيش في ظل حضارتها المثيرة»[1] فقد أخذه الفضول في الاستكشاف والسفر بعيدا عن بلده.

ولكن ما حدث له كان مشابها جدا لما حدث لعمر حين ابتعد عن بلاده فحسن «لم يحفل ببلاد فرنسا، كره جوها الخانق وأزيز مواصلتها، وازدحام شوارعها، وضجيج سكنها، وصخب مقاصفها ليلا ونهارا...كتب إلى والدته يطمئنها بعوده إلى القرية»[2] فهذا النفور جعل حسن يكشف كثيرا مما لا يعرفه عن بلاده، لأنه كان جاهلا لذلك ومقارنته لمكان غير وطنه ولدت لديه كثيرا من الفروقات، فقد ألف في بلده وقريته الهدوء والسكينة التي توحي بالراحة والاستقرار والأمان والمناظر الطبيعية الخلابة عكس ما وجده في فرنسا، هذا البلد الذي يعج بالسكان والضجيج والازدحام في السير وصخب المصانع ليلا ونهارا.

وهذا ما جعله ينفر ويبتعد عن هذا المكان الذي قد يؤدي به إلى عنوان القصة التلاشي في المجهول.

أما عند الحديث عن نفور الشخصية من القرية سنجد أن اغلب شخصيات المجموعة القصصية والذين تكلم عنهم الكاتب هم في نفور من القرية متوهمين أن العيش في المدينة أروع وأسهل فهذه قصة " الذهب الضائع" التي تقول على لسان أحد الفلاحين «يقال أن نبيلا توجه تلقاء المدينة مباشرة بعد البذر»[3] فقد بدا له أن العمل في المدينة لأهون وأسهل مما يوحي بكل ما يثير النفور والاغتراب.

---

[1]– المصدر نفسه، (التلاشي في المجهول)، ص135.

[2]– المصدر نفسه، 137.

[3]– المصدر السابق،(الذهب الضائع)، ص50.

وهذه قصة "زفاف في البادية" التي تروي الحكاية نفسها حيث يزداد النفور والعدوان بمقدار قسوة الواقع التي يراها هؤلاء الشبان في قريتهم يقول صالح: «إنك تعلم أن مصطفى وأحمد والمنور قد هاجروا أرضهم وتركوها مهملة، والتحقوا جميعا بالمدينة»[1] فهم في توهم أن تحقيق الحياة الكريمة لا يكون إلا خارج قريتهم وفي المدينة وهذا ما يوحي أن العيش في القرية هو الحرمان والفقر وأن المدينة مكان للخلاص من هذا الواقع.

وهذه قصة "أغلى هدية" التي استحوذت فيها علاقة التنافر على جميع أبعاد شخصية البطلة مريم، التي تود أن ترحل من القرية إلى المدينة كما فعل جيرانها وصاحباتها، مع عدم موافقة زوجها الذي لم يرض يوما أن يفارق قريته ولا أرضه تقول مريم: «لئن لم من غدك إلى مغنية لأطلبن الخلع منك، ولأذهبن بمفردي لأعيش في اطمئنان وهناء... لقد انفض من حوالينا الجيران، وتفرق الولد، وانبث الأقارب...فماذا أفعل أنا هنا وحدي؟!»[2]فهي كانت تعيش مع زوجها في مدن الجزائر وتظن أن المدينة منبع الحياة الهنيئة والاطمئنان فما جعلها تنفر من القرية هو إحساسها بالغربة لرحيل جيرانها والوحدة.

أما نفور بعض الشخصيات من مكان البيت في المجموعة القصصية فقد كان له أثر واضح بين ثنايا القصص فهذه قصة " انزلاق على شفا الجرف" التي تروي قصة تلك المرأة التي ابتعدت عن بيتها بسبب عملها اليومي خارجه من أجل ان تؤمن حياة متوفرة الطلبات لأولادها تقول لزوجها: «ألست أنت الذي دفع بي إلى خارج المنزل؟»[3] لأن مدخوله الشهري من عمله لم يكن كافيا لأسرة بأكملها، فقد كان انسلاخها عن بيتها له أسبابه، وظروفها هي التي دفعتها لذلك مما جعل علاقتها ببيتها غير وطيدة بسبب تمسكها بعملها.

ومن جهة أخرى نجد أن أولادها الثلاث بدورهم لم يكونوا عند حسن ظنها فقد تبرؤا من المنزل الذي أعد من أجلهم بكد وجد وعرق ليوفر الراحة لهم يقول أحدهم:

---

[1]– المصدر نفسه، (زفاف في البداية)، ص92.

[2]– المصدر نفسه، (أغلى هدية)، ص164.

[3]– المصدر السابق، (انزلاق على شفا الجرف)، ص98.

«الدار...الدار.. لو سمح لي لأحرقتها وهدمتها.. ماذا نفعل نحن بداركم هذه؟»[1] فالمتعارف عليه أن البيت يبعث الراحة والاستقرار، لكن في هذا المقطع نلاحظ تجاوز هذه الدلالة إلى دلالة القلق والتوتر.

فقد «هجر الولدان المنزل الأبوي، واتخذ كل واحد منهما سبيلا ولكن نبيلا كان شر الاثنين...»[2] فنفور هؤلاء الأبناء من بيتهم العائلي والابتعاد عنه يعمق في نفسيتهم الشعور بالاغتراب وطلب العيش بحرية وعدم تحمل المسؤولية مما أدى بهم إلى الانزلاق من مكان يعم بالراحة والأمان إلى واقع مجهول.

ومن هذا يتبين لنا عند دراسة علاقة التنافر في هذه المجموعة القصصية أن جل الشخصيات إلي انسلخت وابتعدت عن أماكنها كانت توهم أنها ستجد أماكن أخرى أحسن حال، وأما ما جعلها تنفر هو إما للظروف الحياتية أو لطلب العمل أو للدراسة أو لتغيير الأوضاع التي هي عليها.

ثانيا: علاقة المكان بالزمن الروائي

يُعد الزمن من أكثر العناصر تعقيدا، وهو من أهم العناصر المساهمة في بناء الرواية بشكل كبير وعلاقته بالمكان علاقة تلازمية، فهو المحور الأفقي التي تسير عليه الأحداث بفعل الشخصيات في رقعة مكانية معينة، وقد وردت له عدة تعاريف ومفاهيم منها:

وردت لفظة الزمن في القرآن الكريم مرة بمعنى الزمن والديمومة ومرة بمعنى القضاء والقدر، ففي الأولى قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلى الإنْسَانِ حِينٌ مْنَ الدَهر لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوْرًا﴾[3].

ويقول في الثانية: ﴿وَ قَالُوا مَاهِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوت ونَحْيَا وَما يُهْلِكُنَا إلا الدَهْرُ، ومَالَهم بذلك مِنْ عِلْمٍ، إنْ هم إلا يَظُنُون﴾[4].

---

[1]– المصدر نفسه، ص105.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– سورة الإنسان، الأية 01.

[4]– سورة الجاثية، الأية 24.

ويتمثل الزمن في الساعات والأيام والشهور والفصول والسنوات وغيرها من المواقيت الزمنية المعروفة.

أما من الناحية الأدبية فالزمن «يمثل عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القص، فإذا كان الأدب يُعتبر فنا زمنيا، فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن»[1] فلا يمكن الاستغناء عنه في النصوص الأدبية أبدا لأنه «خيط وهمي مسيطر على كل التصورات والأنشطة والأفكار»[2] أي لا يُرى فهو وهمي مسيطر على كل شيء من تصورات وأفكار وأنشطة من حياة الإنسان.

وهو «كالأكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا، وفي كل مكان من حركتنا غير أننا لا نحس به، ولا نستطيع أن نلتمسه، ولا أن نراه، ولا أن نسمع حركته الوهمية على كل حال، ولا أن نشم رائحته، إذ لا رائحة له، وإنما نتوهم، أو نتحقق أننا نراه في غيرنا مجسدا في شيب الإنسان وتجاعيد وجهه، وفي سقوط شعره وتساقط أسنانه وفي تقوس ظهره واتباس جلده...»[3] فالزمن يكون معنا أينما كنا فهو الهواء الذي يحيط بنا ولا يغادرنا ولو للحظة لكننا نتوهم أننا نراه في غيرنا والذي يتجسد في التغيرات التي تحدث في الإنسان.

«ويتجلى الزمن القصصي في عناصر القصة كافة وتظهر أثاره واضحة على ملامح الشخصيات وطبائعها وسلوكها، فالأحداث التي يسردها القاص والشخصيات القصصية التي يجسدها تتحرك كلها في زمن محدد يقاس بالساعات وبالأيام والشهور والسنين»[4] فالشخصية هي آثار الزمن الذي يظهر في كل أوقاتها وعلى ملامحها.

يقسم سعيد يقطين الزمن في الخطاب الروائي إلى ثلاثة أزمنة وهي زمن القصة وزمن الخطاب وزمن النص فيقول: «يظهر لنا الأول في زمن المادة الحكائية، وكل مادة حكائية ذات بداية ونهاية إنها تجري في زمن سواء كان هذا الزمن مسجلا أو غير مسجل كرونولوجيا أو تاريخيا، ونقصد بزمن الخطاب تجليات تزمين زمن القصة وتمفصلاته وفق منظور

---

[1]– سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004م، ص37.

[2]– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص174.

[3]– المرجع السابق، ص175.

[4]– محبوبة محمدي آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2011م، ص126.

خطابي متميز يفرضه النوع، ودور الكاتب في عملية تخطيب الزمن؛ أي إعطاء زمن القصة بعدا متميزا وخاصا، أما زمن النص فيبدو لنا في كونه مرتبطا بزمن القراءة في علاقة ذلك بتزمين زمن الخطاب في النص؛ أي بانتاجية النص في محيط سوسيو لساني معين»[1] حيث تتجلى الفرضية في كون زمن القصة حرفي وزمن الخطاب نحوي وزمن النص دلالي الذي يبدو مرتبطا بزمن القراءة، فزمن النص يعتبر التجسيد الأسمى لزمن القصة وزمن الخطاب في ترابطهما وتكاملهما.

أما من ناحية علاقة المكان بالزمن فلا يمكن أن نفلصهما عن بعض لأن «علاقة المكان بالزمان هي علاقة توحدية، تكمن في انتقال الشخصية عبر الزمان من مكان معين إلى آخر، ومن ثم إلى مكان آخر حتى تعود إلى مكانها الأصلي»[2] فالمكان مسرح لسير الأحداث وتنقل الشخصيات وفق مسار معين هو الزمن «فالمكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها»[3].

ومن«المستحيل أن نفهم جماليات المكان ونكشف عن سماته في العمل الإبداعي بمعزل عن الزمان وهذا ما يطلق عليه الزمكان السردي»[4] فاتصال المكان بالزمان يبرز لنا جمالية هذا المكان وسماته ومميزاته، مما يطلق على هذه الثنائية بالزمكان السردي، لذا يمكن القول أن «الزمن والمكان في العمل في الأدبي لا ينفصلان، ومكونات الفعل الأدبي لا تقدم في النص إلا عن طريق تواجدهما في الزمان والمكان في آن واحد، ونظرا لهذه العلاقة الوطيدة التي تربط الزمان بالمكان فقد نستخدم مصطلح "الزمكان" في العلوم الطبيعية وفي مجال الأدب، لأنه يعبر عن الصلة الوثيقة بين المكان والزمان»[5] أي لا يمكن أن يقدم العمل الأدبي بدون مكان وزمان في آن واحد وهو ما أطلق عليه الزمكان وهو تعبير عن الصلة الوثيقة بين الزمان والمكان.

---

[1]– سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1997، ص89.

[2]– عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، (دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011، ص 171.

[3]– سيزا قاسم، بناء الرواية، ص106.

[4]– محمد جواد حبيب البدراني، جمان فيصل خليل الطائي، شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة، ص38.

[5]– محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ص124.

وهذا ما ذهب إليه ميخائيل باختين في قوله: «ما يحدث في الزمكان الفني والأدبي هو انصهار علاقات الزمان في المكان، والمكان المدرك يقاس بالزمان، هذا التقاطع بين الأنساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني»[1]؛ أي أن علاقة المكان بالزمان في العمل الأدبي وانصهارهما وتلاحمهما في القص تبرز جمال وتميز الزمكان الفني الإبداعي.

«ويتم التداخل بين الزمان والمكان في النص القصصي من خلال تفاعل الأحداث والشخصيات بعضها مع بعض وهذا الأمر يجعل المادة القصصية ذات بعد إنساني إضافة إلى بُعدها المادي»[2] ذلك أن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي عن طريق عرض الشخصيات للأحداث.

وبهذا يعد الزمن من العناصر الأساسية في بناء الرواية، إذ لا يمكن تصور حدث سواء أكان واقعيا أم تخيليا خارج الزمن، كما أنه يؤطر المكان والشخصيات في الرواية.

وهذه بعض المقاطع من المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" التي توضح العلاقة الوطيدة والمنسجمة بين الزمن والمكان.

ففي قصة "سمام" نرى صديق عمر الذي رجع من الخارج حيث كان يدرس هناك من وقت طويل يقول الراوي: «...تزايدت عليه الهواجس مع عودة خالد من (السوربون) حيث كان يدرس هناك من نحو سنوات أربع»[3] ويقول عمر عن صديقه خالد حينما رآه يتجول في الجامعة مع البنات «يا له من ماكر! .. هذا فعله وأبواه يؤملان منه أن يعود لهما طبيبا بعد سنتين!»[4] يتبين من خلال المقطعين كيف كانت علاقة المكان بالزمان تلازمية؛ فالجامعة يجب أن يلزمها الطالب من أجل الدراسة والتخرج مدة من الزمن تزيد عن ثلاث سنوات ليصل إلى مبتغاه وهو النجاح وأخذ الشهادة العليا، وفي هذه المدة أو الزمن يكون قد استشف من دراسته الأكثر وعايش الجامعة واكتشف المزيد منها ومن الحياة فيها، وهذا ما وضحته المقاطع السابقة في إقامة خالد في الجامعة مدة أربع سنوات.

---

[1]– ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1990، ص08.

[2]– محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ص125.

[3]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع، (سمام)، ص17.

[4]– المصدر نفسه، ص18.

وفي قصة "المفاجأة" نرى كيف كانت الغابة ذات علاقة تامة مع الزمن تشع بأمل المجاهدين في نيل المعركة والفوز بها ضد المستعمر الظالم، يقول الراوي في مقدمة القصة: «الصوت المُطبق يعم المكان، أنوار الفجر الموقظة للنوام تحت الخطى لتضفي الموقع غلائل منسوجة من ضياء.. البدر البازغ (...) كتيبة المجاهدين أخذت تتغلغل بحذر في قلب الغابة التي تبدو فيها كثافة الأشجار»[1] فالظاهر من هذا المقطع أن المكان (الغابة) قد التزم في هذه الأحداث بمدة من الزمن أشار لها الكاتب بأنوار الفجر والبدر البازغ الذي يتحضر للغياب وهي دلالة على زمن بدايات اليوم الأولى، هذا الزمن الذي ارتبط بهذا المكان وانتشر بأحداث كتيبة المجاهدين التي تستعد لخوض المعركة في سرية.

وفي مقطع آخر يقول: «النهار يحتضر .. الساعة السادسة مساء.. الشمس تهم بالعرج ... خسائر مهولة في القوات الباغية (...) حين عسعس الليل .. أمرنا القائد بجمع الغنائم من أسلحة وذخائر (...) في غابة الخميس»[2] وهو في هذا المقطع يصف لنا نهايات اليوم باحتضار النهار والشمس المغربة والوقت الذي وقع فيه هذا الوصف وهو (الساعة السادسة مساءً) وهذا ما يوضح التكامل الذي بين هذا الزمن والمكان (الغابة) في سير الأحداث وتماشيها معا إذ لا يمكننا الفصل بين المكان كرقعة والزمن كمحور له، وهي دلالة على تلازم وارتباط هذين العنصرين لوصول المجاهدين إلى مبتغاهم وحدوث المفاجأة التورية.

وفي قصة "الذهب الضائع" يتضح لنا من خلال بعض المقاطع كيف أن المكان يستلتزم بعض الأزمنة الي يجب أن تسير عليه وذلك للعلاقة التي تربطهما ببعضهما والمتبادلة بينهما، يقول الراوي: «كنت ترى عمك (موسى) يكمل نومته على بغلته في الطريق وهو متوجه إلى حقله في الصباح الباكر»[3] فالمتعارف عليه أن الحقل وخدمة الأرض تستدعي الوقت المبكر لطبيعة العمل وهذا ما وصفه الراوي بقوله يكمل نومته في الطريق، وهي دلالة على الاستيقاظ مبكرا مع أنوار الفجر والصباح الباكر.

---

[1]- المصدر نفسه، (المفاجأة)، ص41.

[2]- المصدر السابق، ص44.

[3]- المصدر نفسه، (الذهب الضائع)، ص50.

ويقول أيضا: «كان يروح قبل الطير، ولا يغادر إلا والساعة قد أزفت من العشرة ليلا! ... تذكرت ما كان يجنيه الفلاحون من خيرات»[1] في دقة الوصف هذه نلاحظ كيف أن الكاتب قد استشف الزمن بقوله يروح قبل الطير وهو وصف يوحي بالوقت الباكر جدا من اليوم وهو الفجر وقوله في نهايات اليوم (الساعة العاشرة ليلا) وهو زمن المساء الأخير من اليوم، حيث كان الفلاحون يزاولون مكان الحقل بغية التزود بخيراته والتمتع بها، والملاحظ أن هذا الزمن الذي يتطلبه هذا المكان دلالة على التكامل الجوهري بينهما.

أما في قصة " الحزن الباسم" نرى كيف كان وديع وعايدة من زمن لآخر يخضون عمليات فدائية دفاعا عن فلسطين حيث كانت الأمكنة مختارة بعناية وبدقة الأزمنة وهذا ما توضحه المقاطع التالية:

يقول الراوي: «لم تمض إلا بضعة شهور قبل أن تناط بعملية فدائية داخل ملهى بالعاصمة»[2] فالملهى كان مستهدفا من زمن لآخر بعملية تفجيرية من قبل الثوار دلالة على الفداء والجهاد في سبيل الله والوطن، وها قد حان دور وديع فقد «مضت الأيام سراعًا .. وآن دوره .. سيقوم هو بمعية اثنين من رفاقه باحتلال مدرسة "معالوت" الصهيونية»[3] فالأيام كانت دقيقة الاختيار والمكان كذلك، لم يتم فصله عن هذا الزمن وذلك لاستحالة تفريق هذه العلاقة التي كانت في بوتقة واحدة .

أما في قصة " ضياع" نخلص إلى أن مكان السجن يفرض على قاطنيه إقامة جبرية تقدر بالزمن الذي سيقطنه المجرم فيه، قد يبدأ بالأيامو الشهور فالسنين، وها هو ذلك الفتى الذي أخذ جزاؤه بعد جريمته اللاأخلاقية قد «قضى سنتين في السجن، ولكنه أنهى عذابه وعاد في الوقت الذي ضاعت فيه صاحبته، وغابت آمالها وراء الحرية المزعومة!»[4] فهذا المقطع دلالة على العلاقة الحتمية والجبرية بين المكان والزمن.

وهذه مريم في قصة "أغلى هدية" تمنح زوجها مدة من الزمن حتى يُؤَمِنَ لها العيش في المدينة والانتقال إليها في قولها: «ضع في بالك أني سألتحق بالمدينة بعد شهرين (...)

---

[1]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– المصدر السابق، (الحزن الباسم)، ص74.

[3]– المصدر نفسه، ص79.

[4]– المصدر نفسه، (ضياع)، ص131.

إننا الآن في شهر مارس، وما يكاد يحل مايو حتى نكون مدنيين»[1] يتجلى في هذا المقطع كيف أن الزمن يتحكم في المكان الذي ستؤول إليه هذه الأسرة، فالحديث عن المكان يستدعي الحديث عن الزمن الذي يرتبط به مما يوحي باتصالية العلاقة الواضحة.

وفي قصة "كبرياء" يتجلى لنا أعظم زمن مرَّ على أعظم مكان وهو زمن الثورة التحريرية على أرض الجزائر المجيدة، وكيف ساهمت تلك المرأة الصنديدة يقول الراوي في صدد ذلك «أحلت سنوات الثورة، قدمت للجزائر أعزَّ أبنائها دافعة به إلى الجبل إسهاما منها في تحرير الوطن من الدخيل المحتل...»[2] فقد بدا في هذا المقطع كيف أن المكان وثيق الصلة بهذا الزمن التاريخي الذي دام سبع سنوات ونصف على أرض الجزائر مما يوحي بالانتصار والاستقلال.

وفي الأخير يمكن القول أن علاقة الزمن بالمكان علاقة وطيدة تتجلى في التلازم والتكامل والارتباط بين هذين العنصرين، إذ لا يمكن الفصل بينهما أو تفريقهما.

ثالثا: علاقة المكان بالحدث الروائي

يعد الحدث من أهم عناصر البناء الروائي وهو «مجموعة من الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبا سببيًا، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها وهي تعمل عملا له معنى، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى، وهي المحور الأساسي الذي ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباطا وثيقا»[3] فالحدث يمثل العمود الفقري في القصة أو الرواية من خلال ربطه لعناصرها مع بعضها، ولا يمكن دراسته بمعزل عن تلك العناصر.

والحدث أهم عنصر في القصة «ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات وهو الموضوع الذي تدور القصة حوله، يعتني الحدث بتصوير الشخصيات في أثناء عملها، ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه، والمكان والزمان والسبب الذي قام من أجله كما يتطلب من الكاتب اهتماما كبيرا بالفاعل والفعل، لأن الحدث هو خلاصة هذين

---

[1]– المصدر نفسه، (أغلى هدية)، ص167.

[2]– المصدر نفسه، (كبرياء)، ص191.

[3]– صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 1996، ص135.

العنصرين»[1] فالحدث هو الأفعال التي يصورها الحدث عن الشخصية ولا يكتمل إلا ببيان وقوعه مع تبيان الزمان والمكان والسبب الذي جاء من أجله.

والحدث «هو سرد قصصي موجز أو قصير يتناول موقفا واحدًا وحينما تنتظم الأحداث معا ويجمعها خيط واحد بطريقة مترابطة تصبح سلسلة أحداث في الحبكة»[2] وتنظيم هذه الأحداث يصل بنا إلى القدرة على إبلاغ الرسالة ووصولها إلى المتلقي «فكما أجاد الروائي ترتيب حدث روايته، كان أكثر قدرة على إبلاغ المتلقي رسالته الفنية فالترتيب الجيد يضفي على النص قوة ويكسبه ميزة خاصة به»[3] بمعنى أن أساس الحدث في العمل الروائي هو الترتيب لنصل إلى فهم وتوقعات.

وهناك عدة طرق لعرض الأحداث، قد يلجأ الكاتب لأحدها، وذلك تبعا لثقافته ورؤيته الفنية وخبرته الإبداعية «فقد يبدأ قصته من أول أحداثها ثم يتطور بأحداثه وشخوصه تطورًا أماميا متبعا المنهج الزمني.. الطريقة التقليدية، وقد تبدأ القصة بنهايتها، فيصور الحادثه ثم يعود بنا إلى الخلف كي نكتشف الأسباب والأشخاص، الفلاش باك، وقد يتبع أسلوب اللاوعي والتداعي، فيبدأ من نقطة معينة ويتقدم ويتأخر حسب قانون التداعي.. الطريقة الحديثة، كل ذلك متروك لعبقرية الكاتب وتمكنه من أدوات الكتابة»[4] فلابد للكاتب أن يتبع إحدى هذه الطرق إما الطريقة التقليدية أو الفلاش باك أو الطريقة الحديثة كما هو موضح، ليتجنب الخلط ويضمن سير الأحداث في خط مفهوم.

ونجد أن علاقة المكان بالحدث هي علاقة متينة يجسدها الإنسان بفعل تصرفاته وسلوكاته الحياتية، فالمكان ينتعش بالحياة إذا سكنته الروح واحتكت به النفوس البشرية فيصدر أفعالا تحدث أحداثا.

والمكان في الرواية يزداد جمالية عندما تتنامى الأحداث فيه فتكثر وتتأزم فتحل.

---

[1]- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2009، ص21.

[2]- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفا قص، تونس، ط1، 1986، ص137.

[3]- صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، ص134.

[4]- المرجع نفسه، ص135.

كما نجد أن «المكان هو الذي يؤسس الحكي من خلال جعل الحكاية المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة، فإنه لا يمكن تصور حدث (فعل) إلا في إطار مكاني محدد يحدث فيه ذلك الحدث»[1]؛ أي إطار تحدث فيه الأحداث وتتحرك ضمنه الشخصيات.

كما أن «الحدث يتطلب بالضرورة زمانا ومكانا»[2]فبدونهما لا يمكن لنا تسجيل الحدث في وقت معين ولا مكان مرئي، وظهور «الشخصيات ونمو الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد على تشكيل البناء المكاني في النص»[3] ذلك لأن سبب الأحداث هو المكان بفعل الشخصيات، وعلى هذا الأساس فإنَّ «بناء الفضاء الروائي يبدو مرتبطا بخطية الأحداث السردية، وبالتالي يمكن القول بأنه هو المسار الذي يتبعه اتجاه السرد»[4].

أي أن «المكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث»[5] لأنه لا يمكن أن تكون هناك قصة بأحداث ما لم يكن هناك مكان يجري فيه كل ذلك «فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجري به شيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث»[6] وبهذا تصبح علاقة المكان بالحدث علاقة لا يمكن فصلها أو تقسيمها إلى اثنين فحيث «لا توجد أحداث لا توجد أمكنة»[7] على حد قول حسن بحراوي.

وهذا ما بينته بعض مقاطع المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" أن علاقة المكان بالحدث السردي هي علاقة ارتباط وثيق والزامي الصلة، فمثلا في قصة "العودة إلى الينابيع" نجد أن نجيب قد عاد إلى ينبوعه وأصله لمكان جدوده وآبائه إلى قريته الريفية يقول مصطفى صديق نجيب: «لماذا أنت في ديارنا بدونها؟.. فقد عَلِمْتُ من والدتك أنك جئت وحيدا، وهو ما أثار الفضول، بل الاستغراب لدى سكان الواحة!»[8] وهذا ما يوحي أن للقرية عادات وتقاليد لا يمكن أن يتخطاها أحد فمثلا في هذا المقطع صور لنا الكاتب هذا الحدث في

---

[1]– عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، ص177.

[2]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص29.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– المرجع السابق،ص29.

[5]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]– المرجع نفسه، ص30.

[7]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[8]– محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع (العودة إلى الينابيع)، ص10.

القرية دلالة على أن الرجل لا يترك زوجته لوحدها ويسافر بعيدا عنها، وهو ما أثار الجدل والاستغراب لدى سكان القرية، ولكن ما نستشفه أنَّ، نجيب كان في خلافات زوجية جعلته يفعل ذلك.

أما ما نجده في قصة "سمام" الأحداث المتنوعة التي جرت لعمر في جامعة السوربون والتي غيرت مجرى حياته ومنها: يقول الراوي: «نظر حواليه فإذا السجائر يتصاعد دخانها، وإذا الأرجل ما تنفك موضوعة على الطاولات... وما هو أفضع وأنكى تلك الوشوشات الناجمة عما يخدش الحياء من الجنسين»[1] ففي هذا المقطع تتضح لنا التصرفات التي بدت من الطلاب في الجامعة الأجنبية والتي حيرت عمر من تعاطي للسجائر والوضعيات المنعدمة للاحترام والفوضى والجو اللاعلمي داخل المدرج، وهذا كان دلالة على التسيب والانحلال والحرية.

وفي مقطع آخر يقع عمر في حدث آخر حيث «كسر نظره نحو الكراسي المبثوثة على جنبات حديقة الحي الجامعي، فإذا زميله بصحبة فتاتين»[2] وهذا ما جعل عمر في اصطدام عارم بينه وبين نفسه دلالة على الحيرة والاندهاش من هذا الوضع المخل للاحترام.

فقد أراد الكاتب أن يصور لنا هذه الأحداث ليبين لنا من خلال عمر الفروقات بين الجامعة الأجنبية، والجامعة العربية حيث الانضباط والدراسة والخجل والتربية والأخلاق.

وفي مكان آخر نلمس العديد من الأحداث الثورية في الغابة والتي كانت بارزة بدقة الوصف.

وذلك ما نجده في قصة " المفاجأة" في قول الراوي يصف أحداث المعركة في الغابة: «كتيبة المجاهدين أخذت تتغلغل بحذر في قلب الغابة الي تبدو فيها كثافة الأشجار»[3] وقول أحد المجاهدين «انطلقت النيران من رشاشاتنا وبنادقنا تحصد الصفوف الأولى (...) سرابيل من الخوف تخنق سائر جنود العدو... صياحهم ووجَلهم لا حدود لهما، لكن أصوات الأسلحة هي التي هيمنت على الغابة، تقهقروا إلى الأسفل... تدحرجوا على ظهورهم ... ألقى بعضهم بنفسه من الروابي»[4] فقد كانت الغابة وسيلة لتخفي المجاهدين فتغلغلوا بين أشجارها

---

[1]- المصدر نفسه، (سمام)، ص18.

[2]- المصدرالسابق، ص18.

[3]- المصدر نفسه، (المفاجأة)، ص41.

[4]- المصدر نفسه، ص44.

للسرية وإعداد أنفسهم لانطلاق المعركة، حيث انطلقت النيران وهيمنت أصوات الأسلحة على الغابة، التي كان عليها المجاهدين آنذاك دلالة على حب الانتصار وحب الوطن.

وأيضا نجد أن الأحداث الثورية متواصلة في المجموعة القصصية فهذه قصة " الحزن الباسم" التي يسرد فيها الراوي أحداث المعارك والعمليات الفدائية في الثورة الفلسطينية المجيدة، يقول الراوي: « سمع العالم كله عن مقاهي الصهاينة التي قُنْبِلت، وعن السيارات التي أحرقت ... ولم يتردد غير اسم واحد فقط؛ اسم "وديع" .. أي سر من وراء نجاحه، ومن غير أن يطفر به المعتدون»[1] فقد كان وديع في قلب كل هذه العمليات ولم يتراجع للحظة عن تقديم أو تحضير أي عملية وسبب ذلك حبه لفلسطين والنيل من العدو الغاشم.

ويقول الراوي أيضا يصف الأحداث التي قامت بها عايدة من أجل وطنها السليب «في هذه الآونة انطلق دوي اهتزت له أرجاء المدينة، وتزلزلت له الأماكن المجاورة للملهى.. لقد وقعت الواقعة على المستعمرين، وها هي ذي عايدة تبارح الملهى خفيفة نشيطة في ابتهاج عارم.. أما الشرطي الذي كان يحرس بالباب فلم تلفِ له اثرًا، ولم تدر إن كانت الأرض قد ابتلعته»[2]، فعايدة بدورها أيضا لم تتوان عن تقديم أي عمل فدائي، فكانت كل هذه الأحداث من عايدة ووديع مدعاة لقلق العدو وتخوفه من هذه التفجيرات المفاجئة وهذا ما يوحي بالتضحية والفداء من اجل هذا الوطن الغالي .

من هذه القصة الموسومة بالحزن الباسم حيث كانت أحداثها مؤلمة، فهي أحزان مؤثرة يملؤها الأمل بغد أرحب.

ومن بين الأحداث وثيقة الصلة بالأرض والحقل ما نجده في قصة "زفاف في البادية" يقول صالح أحد سكان القرية وصاحب الحقل «كم هي خصبة هذه السنة، وكم هي ثرية بشتى أنواع الحبوب التي يقتات منها البشر»[3].

فقد كانت هذه القصة بمعنى الخيرات التي كانت تجني من الأرض وخدمة الحقول وجني المحاصيل كل سنة، حيث كانت في هذه السنة ثرية بأنواع الحبوب مما جعل أصحاب الحقول في بهجة وفرح دلالة على الخير وحب العمل والصبر فكانت علاقة هذا المكان بالحدث علاقة متينة وحيوية.

---

[1]– المصدر السابق، (الحزن الباسم)، ص74.

[2]– المصدر نفسه، ص 76.

[3]– المصدر نفسه، (زفاف في البادية)، ص90.

ولم يكتف الراوي بسرد هذه العلاقة بين الحدث والمكان فحسب، بل تعدى ذلك إلى العلاقة الاتصالية ذات المنفعة بين الفلاح والأرض، مما يعني أن صاحب الأرض إذا ما تصرف في أرضه ولم يتخل عنها سوف يغدو ذا مال وجاه، لأن الأرض كنز لا يمكن لأي شخص أن يعرف قيمته إلا إذا شغل نفسه بخدمتها واهتم بها واستغلها أحسن استغلال وجنى منها الخيرات، وهذا ما صوره الكاتب لنا في المقطع الموالي يقول صالح «هؤلاء قد اتفقوا مع والدي ووالدك على أن نقوم نحن باستغلال هذه الأرض، وهو ما يعني أننا سنغدو أصحاب أرض، نتحكم في أنفسنا وننوع مزروعا تنا ونطور فلاحتنا»[1]

وفي الأخير يمكن القول أن ما نستخلصه من هذا الفصل المعنون بالمكان وعلاقاته (الشخصية، الزمن، الحدث) في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" مايلي:

- أن علاقة المكان بالشخصية كانت متباينة بين الانتماء إلى المكان والدفاع من أجله والعيش فيه وهي علاقة وطيدة قوية، وبين التنافر الذي مثلته بعض الشخصيات فهجرته مختارة الابتعاد عنه بفعل الظروف المختلفة.
- أما علاقة المكان بالزمان فقد كانت علاقة واضحة لأن الزمن كان معلوم يتجلى لنا في الساعات والأيام والشهور والسنين وربما تعمد الروائي ذلك.

أما في ما يخص علاقة المكان بالحدث فقد كان كل مكان يستلزم أحداثا معينة تجري فيه ويتصف بها، فمثلا لا يمكن أن نجد أحداثا ثورية في مكان غير ثوري.

[1]- المصدر السابق، ص92.

خـــاتـــــــمة

بعد دراستنا لبنية المكان في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" والتي كانت أحد العناصر الفنية المهمة والمكونة لها نخرج بمجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

- يعد المكان عنصرا جوهريا في تشكيل فضاء النص السردي، ويلعب الفضاء المكاني دورا ذا دلالة في المجموعة القصصية.
- إن الفضاء أوسع وأشمل من المكان، باعتباره مجموعة من الأمكنة التي يشتمل عليها العمل الروائي، والتي تكون الفضاء المكاني في الراوية.
- تكمن أهمية المكان في كونه جزءا حيويا وضروري يساعد في استكمال عناصر السرد، كما أنه يساهم في خلق المعنى في الرواية، فهو أحد العناصر الفاعلة والفعالة والمتضمن لجملة من الأفكار والقيم الإنسانية.
- إن الكاتب قد وظف الأمكنة بنوعيها، فركز على الأماكن المفتوحة دلالة على الانطلاق والاتساع والحرية، وترك الأماكن المغلقة خالية من وصف المعالم الجغرافية والهندسية فأخذت معنى وظيفتها أكثر من دلالتها كتوفير الحماية والدراسة والعقوبة.
- إن الأمكنة الموظفة في المجموعة القصصية قد تباينت في دلالاتها بين الراحة والانتصار والنفور والقسوة والعصيان والاهمال مما أدى إلى التنوع والتكثيف الدلالي لهذه الأمكنة في عالم القصة.
- إن الأمكنة وعلاقاتها بالعناصر السردية كانت ضمن نظامين تمثلا في العلاقة الوطيدة والمنسجمة من جهة وذلك للوعي الحاد بالمكان والاحساس القوي بحضوره والانتماء إليه، ومن جهة أخرى نفور الشخصيات منه والانسلاخ عنه فكريا ونفسيا، مما يحدث الفجوة بين الشخصية والمكان الذي تتواجد فيه، الأمر الذي جعلها تبحث عن أماكن أخرى كلما ازداد التنافر.
- أن المكان تنوع في دلالاته ولم يأخذ دلالة واحدة وذلك بفعل صفاته المعمارية ومكوناته المادية والأحداث التي تجري فيه والوظائف التي يتغمسها.
- أن علاقة الزمن بالمكان كانت علاقة متينة واضحة كعلاقة الحدث التي كانت منسجمة متكاملة.

- أن الكاتب في المجموعة القصصية " العودة إلى الينابيع" قد نوع في القضايا ومنها الصبر، الفداء، العمل، الإيمان وعالجها من خلال المكان.
- أن المكان هو المركز الذي تدور حوله الدلالات والمعاني فهو أحد العناصر الفعالة في الأحداث ذاتها وتفاعل الشخصيات فيه والأزمنة التي تتمحور حوله تجعله عاملا لجملة من الأفكار والقيم الفكرية والاجتماعية.
- رسم لنا الكاتب لوحات فنية كثيرة برؤى فكرية ذات طابع فني جمالي مكاني.
- لنصل في الأخير إلى أن عنصر المكان له دور كبير في المجموعة القصصية "العودة إلى الينابيع" من خلال دلالاته المتنوعة والتي أبدع الكاتب في وصفها من خلال مزجه بين الواقعية والخيال.

مـلحـــق

السيرة الذاتية والعلمية لمحمد مرتاض:

1. السيرة الذاتية:

ولد "محمد مرتاض" في 18 فبراير 1941م، بمسيردةالفواقة ولاية تلمسان، ناضل بصفوف جيش التحرير الوطني برتبة ضابط من سنة 1936م إلى 1959م، وقبل أن يلتحق بالمدرسة ثم الجامعة تلقى تعليمه على يد والده الحاج الأستاذ " عبد القادر بوطالب" رحمه الله حيث حفظ القرآن الكريم.

كما تلقى على يده علم النحو متمثلا في الألفية والأجرومية ولامية الأفعال وعلم الفرائض، وحفظ مصنف ابن عاشر في الفقه والشعائر والتصوف ثم السنوسية الصغرى للولي المتصوف محمد السنوسي، وابتدأ معه في مصنف خليل، ومبادئ البلاغة العربية، وحفظ تحت إشرافه ورعايته كثيرا من الشعر العربي في طليعته لامية العرب ولامية العجم.

التحق بصفوف الثورة الجزائرية وعمره لم يتجاوز السابعة عشرة، وظل مناضلا مجاهدًا في صفوفها إلى أن وضعت الحرب أوزارها[1]

2. السيرة العلمية:

أما سيرته العلمية فنجدها حافلة بالشهادات، فقد تحصل الكاتب على: [2]

- شهادة الليسانس أدب عربي
- شهادة الكفاءة في التربية وعلم النفس.
- شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي.
- شهادة المناهج في الأدب.
- شهادة الماجستير في الادب.
- دراسات أدبية ونقدية في الأدب العربي.

[1]– ينظر، فاطمة قاسمي، جهود محمد مرتاض في الأدب والنقد، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم، إشراف: ادريس بن خويا، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2015/ 2016، ص186.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص187.

3. أهم أعماله ودراساته:

وللكاتب محمد مرتاض مجموعة من الدراسات والابداعات نذكر منها: [1]

- النقد الأدبي في المغرب العربي.
- التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي.
- تحليل الخطاب الأدبي.
- السرديات في الأدب العربي المعاصر.
- وادي الأسرار –رواية–
- العودة إلى الينابيع –مجموعة قصصية–.

[1]– الشبكة الالكترونية، ويكيبيديا الحرة، محمد مرتاض، أبجد،htpp://www.abjjad.com، 2018/05/14م، الساعة 10:00.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، دار الريادة، دمشق، سوريا، ط1، 2015م.

1 المصادر:

1. محمد مرتاض، العودة إلى الينابيع، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2014م.

2 المراجع:

أ الكتب العربية:

1 ابراهيم خليل، بنية النص الرائي، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.

2 ابراهيم عباس، الرواية المغاربية (تشكيل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي)، دار الرائد، للكتاب، الجزائر، ط1، 2005م.

3 أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

4 الأخضر بن السايح، سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، (د.ط)، 2011م.

5 باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2008م.

6 حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر الاندلسي (قراءة موضوعاتية جمالية)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 2011م.

7 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م.

8 حسين علام، العجائبي في الأدب (من منظور شعرية السرد)، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2010م.

9 حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م.

10 حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2000م.

11 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1997م.

12 سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004م.

13 شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2009م.

14 الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010م.

15 صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010م.

16 صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني (جماليات السردي الخطاب الروائي)، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 1996م.

17 عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010م.

18 عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق مدق")، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 1995م.

19 عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، علم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998م.

20 عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ (دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011م.

21 عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ط)، 2011م.

22 فتيحة كحلوش، بلاغة المكان (قراءة في مكانية النص الشعري)، مؤسسة دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

23 محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2011م.

24 محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2010م.

25 محمد جواد حبيب البدراني، جمان فيصل خليل الطائي، شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة (سكان الهلاك لثامر مغيوفأنموذجا)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016م.

26 محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011م.

27 محمد عزام، فضاء النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1996م.

28 محمد عويد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي (من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي)، دار الرضوان، عمان، ط1، 2012م.

29 مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، (د.ط)، 2011م.

30 وليد شاكر نعاس، المكان والزمان في النص الأدبي (الجماليات والرؤيا)، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008م.

31 ياسين النصير، الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (د.ط)، (د.ت).

ب الكتب المترجمة:

1 جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط2، 1970م.

2 جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.

3 غاستونباشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

4 ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1990م.

3 الرسائل الجامعية:

1 جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، إشراف صالح مفقودة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012م/2013م

2 فاطمة قاسمي، جهود محمد مرتاض في الأدب والنقد، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم، إشراف ادريس بن خويا، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2015م/2016م.

4 المجلات والدوريات:

1 باكير محمود باكير: المكان وحضوره عند الشاعر، مجلة المعرفة، سوريا، ع556، 2010م.

2 شريفة خلفان اليحيائي، تجليات المكان في القصة العمانية (مقاربة موضوعاتية)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت،ع86، 2004م.

5 المعاجم:

1 ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقص، تونس، ط1، 1986م.

2 ابن الكثير، تفسير القرآن الكريم، دار الامام مالك، الجزائر، ج3، ط1، 2006م.

3 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج13، ط4، 2005م، مادة (ك، و، ن).

4 بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول اللغة العربية، ساحة رياض الصلح، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1998م، مادة (ك، و، ن).

5 الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج6، ط1، 1956م، مادة (ك،و، ن).

6 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 1999م، مادة (ك، و، ن).

7 مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

6 المواقع الالكترونية:

1 الشبكة الإلكترونية، https://www.abjjad.com، 2018/05/14م، الساعة: 10:00.

فـهرس الموضوعات

مقدمة.....أ-ج

مدخل:.....06

الفصل الأول: أنواع المكان ودلالاته في المجموعة القصصية

1 الأماكن المفتوحة: 24

1. المدينة.....24
2. القرية (الواحة/البادية).....27
3. الغابة.....30
4. الجبل.....32
5. البحر.....33
6. الحقل.....34
7. الأرض.....35
8. الطبيعة.....37
9. الطريق.....40

2 الأماكن المغلقة: 41

1. البيت.....42
2. الجامعة.....44
3. السجن.....47
4. المسجد.....49
5. المقهى.....50
6. الملهى.....52.

الفصل الثاني: المكان وعلاقاته بالعناصر السردية

1 المكان وعلاقته بالشخصية.....57

2 المكان وعلاقته بالزمن.....72

3 المكان وعلاقته بالحدث.....78

خاتـــــــمة.....**85**

ملحــق.....**88**

قائمة المصادر والمراجع.....**92**

فهرس الموضوعات.....99

الملخص:

تناولت في هذا البحث "المكان ودلالاته في المجموعة القصصية العودة إلى الينابيع لمحمد مرتاض"، حيث توزع العمل على مدخل وفصلين تطبيقيين.

تطرقت في المدخل إلى ماهية المكان وتحديد اشكالية المصطلح و أهميته بين العناصر السردية الأخرى،أما الفصل الأول فاشتمل على أنواع المكان ودلالاته من خلال ثنائية المكان المفتوح والمغلق، وركزت في الفصل الثاني على المكان وعلاقاته بالعناصر الأخرى الشخصية والزمن والحدث السردي، مع خاتمة تناولت أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث.

Résumé:

Le sujet que j'ai abordé dans cette recherche est: le lieu et ses significations dans la série la narrative " Le Retour aux Sources de Mohamed Mortath."Le travail est reparti en une introduction et deux chapitres partiqes.j'traite dans l'introduction la détermination du lieu , la précision de la problématique du terme ainsi que Son importance avec les autres éléments narratifes.

Tandis que le premier chapitre concerne les types de lieu et leurs indications à travers la dualité du lieu ouvert et fermé. j ai mis l'accent dans le duscieme chapitre sur le lieu et sa relation avec les autres elements: le personnage, le temps, et les évènement , avec une cocolusions qui comporte les resultas et les contatation importantes issus de cettr recherche.